مجلة كلية القانون والعلوم السياسية العدد (١٠)

# إيران وإدارة التغيير في الشرق الاوسط بعد عام ٢٠١١ انموذج (المشرق العربي وشمال أفريقيا)

أ.د. منعم صاحي العمار
الطالبة/ سهى مصطفى جابر الموسوي
جامعة النهرين ـكلية العلوم السياسيةـ قسم الاستراتيجية

## المستخلص

تتبوأ منطقة الشرق الأوسط أهمية كبيرة في مقتضيات الدور السياسي الإيراني عبر مراحل تاريخية مختلفة , لتُرسخ تلك الاهمية بدورها جملة من التوجهات والاليات التي أطرتها في طبيعة تعامله مع المنطقة , لينطلق الدور الإيراني بعد عام ٢٠١١ , من فكرة مفادها أن إيران قادرة على بسط هيمنتها على مجمل منطقة الشرق الاوسط , لذا أهتم الاكاديميون والممارسون في مجال السلوك السياسي الإيراني بقدرة الدولة على إدارة ذاتها وترتيب نشاطاتها والسيطرة عليها , لاسيما ان للتغيير التنظيمي والاداري هدفين متلازمين بالنسبة للنظام السياسي الإيراني من اجل تحقيق حالة من التوازن بين إيران وبيئتها وتطوير الحلفاء التابعين لإيران في المنطقة , لتطوير قدرة إيران في ادارة النظام الاقليمي والتكيف مع المتغيرات البيئة الخارجية والداخلية تهئية للانتقال المرحلي نحو القيادة الاقليمية , إذ تنطلق إيران في سياستها الخارجية من منطلق تأريخي حيث التطلع لتعميق الدور الايراني على المستويين الإقليمي والدولي، مدعوماً بفكرة قيادة جديدة مثلتها مجموعة من المبادئ والأسس التي تبنى لتحقيق الاهداف التي تؤهلها لتلك القيادة بأداء استراتيجي متقن وحاذق .



## Abstract

**The Middle East region assumes great importance in the requirements of the Iranian political role through different historical stages. This importance, in turn, is a set of trends and mechanisms that have framed it in the nature of its dealings with the region, so that the Iranian role starts after 2011, from the idea that Iran is able to extend its hegemony over As a whole, the Middle East region, so academics and practitioners in the field of Iranian political behavior are interested in the state's ability to manage itself, arrange its activities and control it, especially since organizational and administrative change has two interrelated goals for the Iranian political system in order to achieve a state of balance between Iran and its environment and develop Iran›s allies in the region. To develop Iran›s ability to manage the regional system and adapt to changes in the external and internal environment prepares for a phased transition towards regional leadership, as Iran embarks on its foreign policy from a historical perspective, as it aspires to deepen the Iranian role at the regional and international levels, supported by a new leadership idea represented by a set of principles and foundations that Adopt to achieve the goals that qualify it. For that leadership with clever and deft strategic performance .**

# المقدمة

لقد دفع التنامي المستمر لمختلف عناصر القوة , إيران لكي تبحث عن توسيع مجال تأثيرها لاسيما بعد موجة التغيير التي شهدتها الساحة العربية بعد عام ٢٠١١, في محاولة منها لإعادة تحديد دورها وفق استراتيجية متعددة الاتجاهات والاولويات الجيوسياسية التي تنسجم مع المعطيات الجديدة التي ظهرت على الساحة الاقليمية . لاسيما وأنها تعد من اهم الدول التي تلعب دورا رئيسيا في التطورات الهيكلية في بنية النظام الاقليمي الشرق أوسطي . أذ وجدت المتغيرات الاستراتيجية التي شهدتها منطقة الشرق الاوسط بعد عام ٢٠١١, مجالاً جيو سياسياً معقداً ومتشابكاً , لتصبح ضرورة ملحة بالنسبة للإدارة الايرانية لاعادة طرح افكار ونظريات تتغلغل عبرها في استراتيجيات وسياسات و خطط ومشاريع مستخدمة الادوات والاساليب التي يُمكن ان توفر لها تطبيقات محققة لذاتها ومكانتها ,لاسيما أن الاخيرة تعد بمثابة نقاط قوة تستخدم على المستوى الداخلي والاقليمي والدولي لمواجهة التغيرات ودعم الموقع التنافسي على الساحة الاقليمية .

## أهمية الدراسة:

تنبع اهمية الدراسة من انها تعالج موضوعاً حيوياً تمثل في دراسة الدور الإيراني بعد عام ٢٠١١ , بالاعتماد على أهمية إيران الاستراتيجية ووزنها الجيوبولتيكي وأرثها الحضاري وعلى نحو يمكن معرفه طبيعة المصالح والاهداف الايرانية في مجال فضائها الحيوي لا سيما بما اكتسبته إيران من تعاظم للنفوذ ضمن مناطق تتمتع في أهمية كبيرة في النظام الدولي من ناحية الاستراتيجية والجيواستراتيجية. فضلاً عن كونها تمثل طرفاً اقليمياً في منطقة الشرق الاوسط والتي زادت اهمية المنطقة لديها باعتبارها المتغير جيواستراتيجي ومفتاح السيطرة على العالم.

**اشكالية الدراسة :**

ان التغير الحاصل في البيئة الاقليمية الشرق اوسطية بعد عام ٢٠١١ , ناتجة عن تغير المعطيات والظروف وتبدل الموازين في الساحة الاقليمية والدولية , الذي انعكس مداه على طبيعية الاداء الاستراتيجي الخارجي لإيران لتجد إيران نفسها امام خيارات متعددة و متضاربة ومضطرة الى تنسيق علاقات جديدة مع قوة دولية اخرى. وبناء عليه فأن اشكالية البحث تذهب الى معرفة مدى تأثير المتغيرات التي طرأت على وضع إيران سواء على الصعيد الداخلي او الخارجي في توجهاتها الخارجية , فضلا عن سعيها الحثيث للحفاظ على نفوذها ضمن المجال الحيوي في ظل التنافس الدولي والاقليمي , من خلال الاجابة على مجموعة من التساؤلات ولعل من اهمها ؛ هي ما يأتي:

– ماهي الاستراتيجية الإيرانية , وماهي هم المستويات المتبعة في إدارة التغيير ؟

– كيف وظفت ايران تغّير أدارة نظامها السياسي الداخلي في تعزيز دورها الاقليمي؟.

– وهل تؤثر العلاقات الاقليمية التعاونية لإيران مع محيطها الاقليمي في تعاظم قدرة تأثيرها ودورها الاقليمي ؟.

**فرضية الدراسة :**

تنطلق فرضية الدراسة من رؤية مفادها أن التكيُف الإيراني مع التغيير الذي شهدته منطقة الشرق الشرق الأوسط بعد عام ٢٠١١, مكنّها من الوصول لمستويات مرتفعة من الكفاءة والفاعلية في ادائها الاستراتيجي تجاه المنطقة , ذلك الاداء الذي ارتفعت مؤشراته تبعاً لما تتمتع به المنطقة من أهمية حيوية بالنسبة للمصالح الاستراتيجية الإيرانية , الامر الذي دفعها لتوظيف مقومات القوة واستخدام مختلف الوسائل المحفزة , ويأتي في مقدمتها الارث التاريخي والمصالح المشتركة فضلا عن حثها المستمر للمشاركة في تشكيل نظام امني مستقر يتيح لها هامش الحركة والدخول في عملية السلام الدولي والمشاركة في الترتيبات الامنية ضمن مناطق الصراع .

**منهجية الدراسة :**

لابد لكل دراسة ان تقوم على منهج تستمد منه متطلبات البحث العلمي , وتم الاعتماد على عدة مناهج في ان واحد , للاستفادة من صفة الشمولية التي يوفرها التكامل المنهجي .والذي يرتقي بالدراسة لان تكون بمصاف البحث الاكاديمي المؤطر علميا. إذ تم الاستناد على المنهج الوصفي لدراسة طبيعة التغيير الذي شهدته المنطقة بعد عام ٢٠١١ , والاستراتيجيات المتعبة من قبل إيران , فضلاً عن الاستعانة بمنهجية التحليل البنيوي للوقوف على المتغيرات الداخلية والخارجية المؤثرة في الدور الايراني تجاه منطقة الشرق الاوسط .

# المحور الاول
# إيران والمستويات المتبعة في ادارة التغيير

عصفت جملة من التغيرات بمنطقة الشرق الاوسط بصورة عامة والمنطقة العربية بصورة خاصة , فاجأت الكثير من دولها من حيث طبيعتها وسرعة حدوثها وانتقالها من دولة لأخرى كالَعَدوى، ولم يكن عنصر المفاجأة هنا حدوث التغيير فحسب، بل تجسدت في تداعيات ذلك على المحيط الاقليمي. ولعل ابرز الاطراف الدولية والاقليمية التي كان لها موقف من التغييرات التي تمثلت ب (حركة الاحتجاجات الشعبية، الثورات، الربيع العربي،....) هي ايران . فالقيادة الإيرانية كانت تفضل انتقالاً هادئاً في البلدان العربية، وبشكل لا يؤثر مستقبلاً في الدور الاقليمي الايراني، الذي عرف تنامياً متواترًا في الأعوام الماضية في المنطقة العربية. (١)

وفي ظل ما تشهده المنطقة العربية من حراك وتحولات في المشهد والواقع العربي، تساؤلات عدة تطرح نفسها حول (ربيع) التغيير العربي وما إذا كان مقدمة للفوضى الخلاقة التي تبنتها الإدارة الأمريكية أو أنه صنيعة مواقع التواصل الاجتماعي ضمن سياق مخططات أمريكية تهدف إلى إعادة رسم الخريطة الجيوسياسية للمنطقة، أو أنه كان مجرد رد فعل منطقي لشعوب عاشت حالة من الاحتقان والتهميش لعدة عقود من الزمن. فهل الربيع العربي مجرد انفجارات لحظية لا تلبث أن تخمد مستجيبة لتدابير ترقيعيه من قبيل إدارة الأزمات وامتصاص قوة الدفع الجماعية، أم هي نقطة بداية جديدة تؤرخ لزمن جديد.

لقد كان طبيعيا ان يحدث الانفجار في المنطقة العربية نتيجة إداء النظم القمعية السائدة، ليغدو الرد انعكاسًا طبيعيًا وحتميًا لتراكم كبير وهائل لأزمات بنيوية؛ بدون نكران اثر الفوضى الخلاقة التي أطلقتها «كوندوليزا رايس» كمقدمة لرسم خريطة جديدة للشرق الأوسط جاءت منسجمة إلى حد كبير مع هذا الربيع.(٢)

لقد انتجت الثورات الشعبية أو ما عرف بـ(الربيع العربي)، حالة من الفراغ السياسي والأمني الناشئ في دولها , التي تشهد وجود التناقضات العرقية (المذهبية) والنزاعات وعدم استقرار النظام السياسي , وتفاوت في توزيع المنافع الاجتماعية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية, وارتفاع مستوى الفقر, ووجود المخاطر الهيكلية والجغرافية ,والفساد الحكومي ,وغياب الحريات السياسة, واختلافات للنظام السياسية القائم وغيرها, فضلاً عن دور القوى الخارجية الإقليمية والدولية التي قامت بتعميق حالة الضعف والانقسام داخل الدولة الواحدة ,هذه العوامل كلها ادت الى تحولات الدراماتيكية، شيدت عبرها ساحات للقتال والمعارك الطاحنة بين افراد والجماعات الإرهابية المختلفة، التي انتشرت بشكل كثيف على أراضيها، لتنتقل بؤر تمركز الإرهاب من أماكنها التقليدية في أعماق آسيا، إلى

(١) اياد عبد الكريم مجيد , الموقف الاقليمي من التغيير في المنطقة العربية : تركيا أنموذجا , مجلة العلوم السياسية ,العدد (٤٦) , جامعة بغداد , ٢٠١٣ , ص١٨٥ .

(٢) خليدة كعسس ,الربيع العربي بين الثورة والفوضى , مجلة المستقبل العربي , العدد الأربعمئة والحادي والعشرون , مركز الدراسات الوحدة العربية, بيروت , السنة السادسة و الثلاثون , مارس ٢٠١٤, ص٢٢٨.

منطقة الشمال الأفريقي والجزيرة العربية.[٣]

سعت الجمهورية الاسلامية الإيرانية لقلب الموازين لصالحها من خلال إدارة التغيير بمعناه العام , اي بمعنى ان ليشمل التغيرات البنائية , ولتكون في جميع انواع العلاقات الاجتماعية واطرافها , والتغيرات الثقافية بكل ما يشمله معنى الثقافة من معاني وافكار وقيم وادوات ومواضيع ,أدوات تأثيرها , تفاعلاً وتثويراً . وكان ذلك على مستويات عدة:[٤]

**اولا: التغيير على مستوى الفكر:** بظهور الافكار الخمينية المؤسسة للثورة الايرانية ١٩٧٩ , واعادة تشكيلها , فضلا عن نشر العقائد والايديولوجية بصور متعددة ومختلفة. فالمشروع الاسلامي التي روجت له إيران يعمل على الترويج للفكر الإيراني ومبادئ الثورة الاسلامية الإيرانية وهو موجه في اغلب محتواه الى المنطقة العربية , التي تمتلك معها مجموعة من الروابط التاريخية والجغرافية , فضلا عن امتداد الدين الذي يجمعها بدولها.[٥]

**ثانيا: التغيير على مستوى الفعل والسلوك:** وما ينتج عن هذا المستوى من تفاعل وعلاقات جديدة كانت متوترة او متقطعة بين إيران وبعض الدول العربية التي شهدت التغيير وتنظيم تلك العلاقات من حيث ظهورها واستمرارها ,على سبيل المثال على موقف ايران من التغيرات التي شهدتها مصر .

**ثالثا: التغيير على مستوى المصالح:** حيث يظهر هذا المستوى في تشكيل او اعادة الفرص والمصالح , على سبيل المثال احتواء إيران لدولة قطر بعد تغيير مواقف دول الخليج العربي من سياسة نظامها السياسي .

**رابعا: التغيير على مستوى التنظيم والنظم:** حيث يظهر التغيير في التأكيد او الرفض بين الاستجابة او الممانعة للقيم وقواعد مبادى الثورة الاسلامية لبعض الدول العربية التي شهدت التغيير. فإيران تدرك ان تحقيق مشروعها لابد ان يقترن بتنظيم تدريجي لتحقيق اكبر قدر من الاستجابة لا نموذجها الاسلامي , اوقيام النظم و الانساق الاخلاقية والقانونية أو محاولة السعي لانحلالها او تعديلها بما تنسجم مع الانموذج الإيراني

وكان من الطبيعي جراء ذلك, ان تتنوع المواقف الإيرانية وتختلف من حالة لأُخرى على نحو دفع بعض الاتجاهات للحديث عن «الميكافيلية الايرانية» في التعامُل مع أحداث المنطقة المستجدة، طالما افضت المصالح الإيرانية المُتغيرة إلى مواقف مُتباينة. ومع ذلك فاستقراء طبيعة المقاربة الايرانية إزاء ثورات «الربيع العربي» تكشف لنا انها تأسست على مسألتين أساسيتين مرتبطتين ببعضهما البعض، أولها: أن تطورات الشرق الأوسط تُشير الى أنه لا مفر من التغيير بما يدفع إلى التكيُف مع ما حصل وليس

(٣) ثائر مطلق عياصرة ,العوامل الرئيسية وراء اندلاع والثورات التي شهدتها بلدان الربيع العربي ٢٠٠٩-٢٠١١, مجلة دراسات العلوم الانسانية ,كلية العلوم السياسية , الجامعة الاردنية مجلد ٤٣,محلق ٤, ٢٠١٦,ص ١٨٨٥.

(٤) سيد سالم عرفة , اتجاهات حديثة في ادارة التغيير ,الطبعة الاولى , دار الراية للنشر والتوزيع ,الاردن , ٢٠١٢ , ص٥٦.

(٥) علاء عبد الوهاب عبد العزيز , توظيف العامل الديني في سياسية ايران الاقليمية بعد ٢٠٠٣ , , مجلة قضايا سياسية , العدد(٥٣) كلية العلوم السياسية , جامعة النهرين ,٢٠١٨, ص٢٨٣.

مقاومته ،وثانيهما: أن التكيُف الإيراني مع هذه الأحداث بالصورة الملائمة , من شأنه أن يُعظم مصالح الايرانية في المنطقة على الصعيد السياسي والاقتصادي والأمني.(٦)

وهكذا أخذت إيران تدرك بعد انتصار ثورتها الإسلامية أنها يمكن أن تستمد الكثير من مصادر القوة من تحركات الشيعة السياسية في مناطق مختلفة ومهمة جدا في العالم الإسلامي؛ بسبب أهميتها النفطية أو الاستراتيجية. بل أنها ربما أدركت أن القوة الكبرى في العالم قد تكون بصدد قبولها بإعطاء الشيعة دورا أكبر والتعامل معها بعد نسيانها من أجل ضمان المصالح المهمة لهذه القوى. ففي كل يوم يلاحظ المراقب أنّ في مناطق العالم الإسلامي ,من لبنان الى باكستان ,ومن طاجيكستان الى إمارات الخليج, هناك صراعات يبدو فيها الشيعة عناصر فاعلة, سواء تعلق الأمر بالأزمة الأفغانية ,أو بالفوضى في جنوب باكستان ,أو بمستقبل الدولة السورية ,أو بالاستقرار في المملكة العربية السعودية ,أو بالصراع من أجل العلمانية في تركيا. وهذه المناطق التي تحتوي على ثلاثة أرباع المخزون العالمي من احتياطي النفط في العالم أمر، ولها تأثيرها الملموس سواء على صعيد السياسة الداخلية أو على صعيد العلاقات الخارجية , ومن دون أن تؤخذ الوقائع الشيعية في الاعتبار .فأن انتقال مركز الثقل في العالم من البحر الأبيض المتوسط نحو الخليج او من المناطق السنيّة الى المناطق المختلطة ,الشيعية والسنيّة, لا يغدو سلمياً مالم تؤخذ بنظر الاعتبار الاهتزازات المتولدة من إرادة توسع نفوذ الشيعة وأي مقاومة هذا التوسع ستنتشر ردة الفعل المضرة الى أبعد من حدود العالم الإسلامي ولتهز مجمل نظام العلاقات الدولية(٧). لذا رحبت ايران بالتغيير واعتبرت ذلك جزء من «الصحوة الاسلامية « في العالم العربي وعدته وسيلة لتقوية المحور المناهض للولايات المتحدة الامريكية(٨). كونها مرحلة بنائية ادراكية شاملة قامت إيران من خلالها بتعميق الوعي والاحاطة بمشاكل الحاضر وعيوب النظام الاقليمي العربي والذي فرض عليها ضرورة التدخل والتحرك لمعالجته بما يتناسب مع المصلحة القومية.(٩)

تلك التغيرات , المحلية الإيرانية والإقليمية والدولية , وتراكم أحداثها وآثارها جعلت من صانع القرار في إيران ذا ميول نحو التطبيق العملي لنظرية (أم القرى )وأصبح الواجب في المرحلة الأولى تقوية الدولة . الأمة . رغم عدم أخذ الفكر الشيعي والإسلامي عموما بالدولة القطرية أو القومية . ولكنها من خلال ذلك أيضا تحقق هدفها الثاني وهو إيجاد المركز الروحي للشيعية . ايران . لكي تتمكن هذه من الانتصار, الذي سيؤدي الى تحلل فئات الدول . الأمم, الموروثة عن الغرب, لمصلحة مجتمع عالمي ينسجم مع الإسلام. وتبنت ايران دبلوماسيتين في ممارسة سلوكها الخارجي تجاه المنطقة وهما ,دبلوماسية تقويض التهديدات ودبلوماسية النشر الأيديولوجي , وما صراع النفوذ الذي تقوده إيران

(٦) اياد عبد الكريم مجيد , الموقف الاقليمي من التغيير ٠٠٠٠٠, مصدر سبق ذكره ,ص١٩٢.

(٧) فرانسوا تويال, الشيعة في العالم صحوة المستبعدين واستراتيجيتهم, الطبعة الاولى , دار الفارابي , ترجمة: نسيب عون , .بيروت . لبنان , ٢٠٠٧, ص٢٦-٣٣ .

(٨) فراس عباس هاشم , النفوذ المتعاظم (ايران واعباء التفكير الاستراتيجي حيال الصعود الاقليمي ), الطبعة الاولى , دار المعتز لنشر والتوزيع , ٢٠١٦, ص٤٧.

(٩) ميسم فوزي مطير العزام , قيادة التغيير في المدارس الثانوية الحكومية في محافظة اربد (نموذجا) , الطبعة الاولى , دار الكتاب الثقافي , الملكة السعودية العربية ,٢٠١٦ , ص ٣٩.

ضد النفوذ الأمريكي ,الا خير مثال على ذلك . ففي وضع أفغانستان يسعى الإيرانيون الى دعم الأقلية الشيعية, وفي الوقت ذاته الى منع سواهم من الاستقرار في المناطق الغربية , ليهددوا منها إيران. كما أن مساندة حزب الله في لبنان يستوحي الاستراتيجية ذاتها باستعمال كل الوسائل لتقوية الدولة الإيرانية, فضلاً عن تقوية الاطراف الشيعية في المنطقة. (١٠)

لقد حاولت الثورة الايرانية بناء الامبراطورية الشيعية الاممية من خلال سياستها الخارجية التي اتبعتها بعد الثورة للتمهيد لبناء المجال الحيوي المذهبي, والتعظيم من مجالاته وقدرته, خاصة تجاه دول منطقة الشرق الاوسط العربية التي تمثل احد اهم المجالات الحيوية بالنسبة لإيران. ورغم علمها بان فكرة المجال الحيوي المذهبي ستؤدي الى ردة فعل عربي وشيعي مضاد لمقاومة هذه الفكرة تمهيدا لاحتوائها, كما وسيبرز الصراع في اطار عنوان «هوس التهديد المذهبي», لأنه وفقا لهذه الرؤية سيحاول المذهب الشيعي التكيف للتمدد حتى يحقق نموا وبشكل يضمن له القدرة على إدارة التغيير والاستمرار, وبالتالي لن يبقى سوى الاقوى والاكثر قدرة على المواجهة وادارة التغيير , وكان الهلال العراقي «المختبر الجيوبولتيكي» , الذي مثل اولى ساحات المواجهة المذهبية لإيران, اما تحقيق النصر وفقا لهذه الرؤية الاستراتيجية , وهو يعني هدم «التوازن المذهبي» في العراق والمنطقة العربية من اساسه , والخطوة الثانية هي بناء «دولة ام القرى « التي سيشكل العراق احد المقاطعات التابعة لها , وبالتالي اعادة المنطقة الى حرب باردة مذهبية من جديد . وعليه فمن صالح الاطراف العربية لا يكون هناك غالب ولا مغلوب مذهبي , اما مصلحة الغرب عموماً هو العكس , و هذه الصياغة «الجيو مذهبية» تضمن تعميم فرضية اساسية على الاقليم الجغرافي الشرق اوسطي تتلخص في حق كل دولة التوسع مذهبيًا خارج حدودها الوطنية بعد ان تصبح هي المركز , تبعا لقدرتها على النمو والاستمرار استراتيجيا ضمن «سياسة الحسم المذهبي» على جولات تنتهي بضربة جيو استراتيجية مذهبية قاضية , وخروج المغلوب نهائيا.(١١)

تجدر الاشارة اليه, ان التكيف الاستقطابي لم يتغير عندما اتخذ لوناً شيعياً عند نظام الاسلامي الايراني, لكن النتائج اختلفت بين الوسطين السني والشيعي , او بالأحرى الايراني والعربي بشقيه السني والشيعي, فايران بقيت هيكلياً هي نفسها من العهد الشاهنشاهي الى العهد الاسلامي , فهي قوة قومية تسعى لفرض هيمنتها في منطقة بالغة التعقيد . فعلى الرغم من ان التصور الشيعي الحالي للدولة وهو تصور شمولي , يجعل الدولة في خدمة الغايات الدينية , مثل ما كانت نظرية الكنيسة الكاثوليكية في العصر الوسيط , فانه سيعود تاريخياً للتمييز بين الفضائيين السياسي والديني , مما يجعل مسألة الزعامة الدينية اكثر سلاسة , عكس الاسلام السياسي السني الذي لا يستند الى معايير واضحة في تعيين السلطة الدينية, لذلك نرى الصراعات بين الزعامات والمجموعات اكثر حدة في الاسلام السياسي السني, وقد نتجت عن الجماعة

(١٠) فرانسوا تويال , مصدر سبق ذكره , ص٦٧-٧٠.

(١١) نبيل علي العتوم , ايران والامبراطورية الشيعية الموعودة , الطبعة لا يوجد , دار الدراسات العلمية للنشر والتوزيع , المملكة العربية السعودية ,٢٠١٣ ص ١٤٣-١٤٤.

الام «الاخوان المسلمين « عشرات الجماعات الفرعية التي ظل بعضها يزايد على بعض في التكفير والعنف والتدمير, فانتقلنا من (الدعوة) لدى حسن البنا الى (الحاكمية) لسيد قطب الى (التكفير والهجرة والجهاد الاسلامي), ثم المرحلة الاخيرة الى (القاعدة) و(تنظيم الدولة الاسلامي «داعش» ).[١٢]

وتتبنى إيران عدة استراتيجيات لاعادة بناء إدارة التغيير التي تتولى القوى المسؤولة عن التغيير تنفيذها من خلال ثلاث مراحل وهي كما يأتي :[١٣]

- مرحلة الهدم والازالة القديم (هدم الانظمة السياسية والثقافية المعادية القديمة).
- مرحلة التهيئة والاستعداد (تهيئة جماعات واحزاب شيعية له القدرة في ادارة النظام السياسي الجديدة , والتي تكون (منسجمة مع طبيعة النظام الإيراني) .
- مرحلة اقامة البنيان الرئيسي ( اقامة حكومة اسلامية مركزها ايران).

ومن اهم الاستراتيجيات الإيرانية المتبعة في أدارة التغيير هي كما يلي:[١٤]

١. استراتيجيات الارتقاء والنمو: وتتبنى فلسفة التغيير التدريجي وتستهدف اقامة المزيد من البنيان و التغيير والتطوير والتجديد , وهي عملية مرحلية تحدد ايران فيها الطريقة التي تستخدم بها القيادة القوة المتوفرة لدى الدولة لفرض سيطرتها على مجموعة من الظروف والمواقع الجغرافية لتحقيق الاهداف و(الغايات ) بما ينسجم مع سياسة الدولة , ولخلق تأثيرات استراتيجية تدعم مصالح الدولة. وتضع ايران هذا الاتجاه لاستخدام القوة بشكل قسري او بالأقناع لتحقيق اهداف محددة , طالما بدأ هذا الاتجاه بطبيعته استباقياً تسعى من خلاله ايران التأثير في بيئتها المستقبلية وصياغتها بدلا من الاكتفاء بردود الفعل عليها , لضمان متابعة المصالح الايرانية بالمنطقة وحمايتها وتعزيزها بطريقة متناغمة ومثالية .
٢. استراتيجية الاقناع والاغراء: و تقوم على اساس الاقناع باهمية وضرورة التغيير وتستخدم إيران في ذلك اللقاءات المباشرة والخطابات و الحوارات والنقاشات وتوفير حوافز لكل من يؤدي دوره في منظومة التغيير . وقد حاولت إيران طرح الانموذج الاسلامي الثوري ونقله الى الدول الاخرى لتحقيق مصالحها واهدافها, مدركة في ذلك ان البيئة الاستراتيجية هي تفاعلية وقابلة للتكيف , وان ايران والاطراف الفاعلة والداعمة لها لديها القدرة على الرد بشكل فردي او جماعي في سلسلة من العلاقات الثنائية او المتعددة الاطراف ,على التحديات الجديدة التي تهدد علاقاتهم وكياناتهم , وعندما ينعدم الاستقرار ,فان إيران والاطراف المعنية ستسعى فرديًا أو جماعيًا الى تنظيم السلوك للحصول على تغييرات مفضلة بالنسبة لمصالحها , بحيث تطور سلوكها أو ترد بطرائق تمهد

(١٢) احمد يوسف احمد, دور مؤسسات العمل الجماعي العربي ومستقبلها , كتاب ( شرق الاوسط تحولات الأدوار والمصالح والتحالفات) , الطبعة الاولى , مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية , الامارات العربية المتحدة , ٢٠١٧ , ص٨٠.
(١٣) سيد سالم عرفة, مصدر سبق ذكره , ص١٧.
(١٤) سيد سالم عرفة , مصدر نفسه , ص١٨ . للمزيد ينظر : هاري ار. يارغر , الاستراتيجية ومحترفوا الامن القومي (التفكير الاستراتيجي وصياغة الاستراتيجية في القرن الحادي والعشرون ) , الطبعة الاولى , مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية , ترجمة راجح محرز علي , ابو ظبي – الامارات العربية المتحدة , ٢٠١١, ص ٣٩ , ٤١ ,٦٦ .

لنجاحها في البيئة الجديدة , تكون فيه إيران الانموذج الامثل للدولة الحامية والمدافعة عن حقوق و مصالح هذه الاطراف.

٣. استراتيجية السلطة : وتمكنت إيران بعد جملة التغييرات التي شهدتها المنطقة من ادارة التغيير بما يخدم مصالحها ,من تقديم كافة انواع الدعم المادي ومساندة الاحزاب والجماعات الموالية للولاية الفقيه من الوصول الى زمام السلطة والتحكم بالقوانين واللوائح كأدوات لفرض التغيير بالقوة القانونية والتامين حركة سيره وتقدمها , بما ينسجم مع المشروع الإيراني , ولعل ما نص عليه الدستور العراقي بخصوص المادة الثالثة من الباب الاول بان العراق بلد متعدد القوميات والأديان والمذاهب، وهو عضو مؤسس وفعال في جامعة الدول العربية وملتزم بميثاقها[١٥]. بعد ان كان العراق جزء من الامة العربية , ما هو الا بداية لأنهاء مشروع الامة العربية باستبداله بالإمة الاسلامية وبالصيغة القانونية التي تتوافق مع مشروع ايران في ادارة النظام الاسلامي مركزه إيران .

٤. استراتيجية التجديد التنظيمي : و تقوم على اساس تغيرات جذرية في الهيكل التنظيمي وحده دون غيره من المجالات الاخرى من اجل تغيير فلسفته و منظومتها كليا انطلاقا من ان تجديد التنظيم هو الاساس , لاسيما ان طبيعة البيئة الاستراتيجية في المنطقة العربية التي شهدت التغيير يمكن وصفها بانها بيئة تفاعلية , ومشوشة , وهي شبكة معقدة من المنظومات , وان عدم الاستقرار ضمن البيئة , تتطلب من صانع القرار في ايران وبشكل ملح وضع استراتيجية جديدة , تكون منسجمة مع الموقف الاستراتيجي ومع طبيعة الرؤية الايرانية للمنطقة عند صياغته وخلال تنفيذها .

٥. استراتيجية الهيمنة : وتقوم ايران على اساس الاستفادة من حقائق القوة التي بلغها الكيان الاداري في مراحله سابقا والاستفادة منها في جذب مجموعة من المزايا الاخرى , بقصد تحقيق التميز والتفرد بالقيادة الاقليمية على كافة الدول والمنافسة لها في نفس الاقليم .

(١٥) فالح عبد الجبار , نحن والدستور , أوراق ديمقراطية (اراء في الدستور العراقي ) , العدد السادس , مركز العراق لمعلومات الديمقراطية , العراق, تشرين الاول ٢٠٠٥ , ص١٠ .

# المحور الثاني
# اثر المتغيرات الداخلية في تعزيز الدور الإيراني الاقليمي

تنتهج إيران عملية تغيير ادارياً تنتهجها عندما يكون الهدف من التغيير تطويراً للإداء الاستراتيجي تجاه الترتيبات الاقليمية في المنطقة, أو لضبط تغيير الاضطراري تقوم به من اجل التكيف مع الظروف المحيطة بها(١٦). فعلى الصعيد الداخلي بعد عام ٢٠٠٤, شهدت إيران متغيرات سياسية مهمة على مستوى النظام السياسي الإيراني كان لها انعكاساتها المباشرة على التوجهات الاقليمية لصانع القرار الإيراني ، من ابرزها سيطرة القوى المحافظة على السلطة في إيران مرة اخرى بعد فوز (تيار المحافظين)، ذي المرجعية الاصولية المتطرفة كرئيس للجمهورية الاسلامية الايرانية عام (١٧)٢٠٠٥)؛ لذلك كان لسيطرة القوى المحافظة على السلطة في ايران انعكاس مباشر على دور إيران وتوجهاتها الاقليمية في تلك الحقبة نتيجة اعتماد «محمود احمدي نجاد» استراتيجيات تصادمية متشددة في التعامل مع القضايا والازمات الاقليمية والدولية محاولاً بذلك احياء التراث الخميني ومواقفه المعادية للغرب لاسيما الولايات المتحدة الامريكية و[اسرائيل](١٨). وكان هناك ادراك بان التغيير لابد ان يحدث في النخب الحاكمة اتجاه اقصاء هذا الفريق المتشدد للتخفيف من حدة الاحتقان , لاسيما بعد احداث عام ٢٠٠٩ وهو ما يعرف بالثورة الخضراء , فضلا عن الوضع الاقليمي الذي كان اكثر تاثيرا على الوضع الاستراتيجي لإيران من غيرها من العوامل , اذ بلغت مستويات كبيرة من التوتر وكان الوضع الاقتصادي متدهور جراء العقوبات الاقتصادية التي فرضها مجلس الامن عام ٢٠٠٨ , ناهيك عن شيوع الفوضى والإحتراب الاهلي في جميع ساحات الثورات العربية , و ظهور لاعبين جدد بشكل مؤثر مع ظهور تنظيمات ارهابية اكثر تنظيم في دول الجوار الاقليمي . وكانت لهذه المتغيرات الاثر في التغيير الاضطري للنظام السياسي, ليكون انتخاب الرئيس (حسن روحاني) خلفا ل(محمود احمدي نجاد ) فضلا عن التغيير في لغة الخطاب السياسي لدى الجمهورية الاسلامية من تصادمية الى براغماتية.(١٩)

والجدير بالذكر, انه لابد من الاشارة حول دور القيادة (المرشد الاعلى) في عملية ادارة التغيير, فالمرشد الاعلى وفقا لصلاحيات الدستور الايراني فان مركزه الرسمي , يجعل منه شخصاً يتمتع بسلطات واسعة على من هم دونه في الهيكل التنظيمي للدولة(٢٠), وحسب رؤى الايرانية له التأثير الأكبر بوضع البدائل الاكثر ملائمة والمتوقعة

(١٦) عمر وصفي العقيلي , ادارة الموارد البشرية المعاصرة :البعد الاستراتيجي , الطبعة الثانية , دار وائل للنشر والتوزيع , عمان – الاردن, ٢٠٠٩ , ص٣٥٦.

(١٧) تيري كوفيل , ايران ( الثورة الخفية ) ، دار الفارابي , ترجمة : خليل احمد خليل ، بيروت ، ٢٠٠٨، ص ٤٤٥ .

(١٨) رأي تقيه , ايران الخفية ( الشطرنج السياسي السري لجمهورية ولاية الفقيه ) تناقضات السلطة في الجمهورية الاسلامية ترجمة: مجدي نائل , دار الكتاب العربي , دمشق , ٢٠٠٧ , ص٥٠ .

(١٩) نبيل برغال , الواقعية الايرانية والاتفاق النووي بحث في الدوافع والمسارات , مجلة رؤية تركية , العدد(٤) ,مؤسسة سيتا للبحوث والدراسات , السنة الرابعة , خريف ٢٠١٥ , ص ٨٩ –٩٠.

(٢٠) ضرار العتيبي و نضال الحواري و ابراهيم خريس , العملية الادارية مبادى واصول وعلم وفن, الطبعة الاولى , دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع , عمان – الاردن , ٢٠٠٧ , ص١٧٩.

لعملية التغيير , فضلا على أنه صاحب القرار الاول بوضع الخطط ملزمة وملائمة للتوجه الخارجي , فهو يعد الامل الوحيد لمواجهة المستقبل الديناميكي بنجاح وقرارته ملزمة[٢١]. إذ حدد «علي الخامنئي « على مستوى التوجهات الاقليمية والدولية عبر وثيقة ( ايران في افق عام ٢٠٢٥) الاهداف الرئيسة على المستوى الاقليمي التي كان من ابرزها :- [٢٢])

١- استغلال المتغيرات الاقليمية والدولية التي اعقبت احتلال الولايات المتحدة الامريكية العراق ٢٠٠٣ من اجل صياغة دور اقليمي لإيران يتناسب مع طموحاتها ومكانتها الاقليمية.

٢- ان تصبح إيران في حدود عام ٢٠٢٥ بلداً متقدماً وحائزاً على الموقع الاقتصادي والعلمي والتقني الاول في منطقة جنوب شرق اسيا التي تشمل كل من (جوار ايران و اسيا الوسطى و القوقاز و الشرق الاوسط ) .

٣- تحديد اهم المنافسين الاستراتيجيين لإيران على المستوى الاقليمي الذين من الممكن ان تشكل ادوارهم الاقليمية تحدياً ومنافسة كبيرة لدور إيران الإقليمي ويأتي في مقدمتهم دول الخليج العربي و(إسرائيل) .

ولكي تحافظ ايران على نجاحها في زمن حافل بالتغيير, كان لابد من تبني أتجاهات وممارسات ايجابية تتمتع بالقبول, وأدخال التغييرات المناسبة ضماناً للبقاء على نفوذها في المنطقة والوقوف بوجه التحديات المستمرة[٢٣], ويمكننا ملاحظة التغيير بأسلوب تنظيمي من خلال أحداث تعديلات في اهدافها وسلوكيات ادائها الخارجي من خلال توجه ايران تجاه بعض قضايا الاقليم وهي حرة في اختيار احد الامرين وهما:[٢٤]

- اما للملائمة والحفاظ على النفوذ للمناطق المسيطرة عليها .
- او استحداث أوضاع تنظيمية واساليب ادارية واوجه نشطة لتوجهات جديدة تحقق لإيران تقدما بتأثير اقليمي مسبق عن غيره .

فعلى المستوى الداخلي تميزت توجهات (أحمدي نجاد) بالاتي :[٢٥]

١. سعيه الى عسكرة الدولة عن طريق سيطرة اتباعه من قيادات الحرس الثوري الإيراني السابقين على اغلب المناصب الحكومية الحساسة واستخدامهم في تصفية مناوئي حُكمه .
٢. اعتماد سياسة دعائية لكسب الدعم والتعبئة الشعبية عن طريق تقديم نفسه كممثل للطبقة الفقيرة في ايران وسعيه الى اعتماد سياسات اقتصادية تعبويه لتحسين الوضع الاقتصادي والاجتماعي لتلك الطبقة .

(٢١) حسن حريم , السلوك التنظيمي , الطبعة الاولى , دار الحامد للنشر والتوزيع , عمان , ٢٠٠٤ , ٣٩٢.

(٢٢) ايران في افق عام ٢٠٢٥, سلسلة تقييم حاله، المركز العربي للأبحاث دراسة السياسات, الدوحة, ٢٠١٦ ، ص ١- ٢.

(٢٣) محمد بن يوسف النمران العطيات , ادارة التغيير والتحديات العصرية للمدير , الطبعة الاولى , دار الحامد للنشر والتوزيع , عمان , ٢٠٠٦ , ص٨٣ .

(٢٤) موسى اللوزي, التطوير التنظيمي اساسيات ومفاهيم حديثة, الطبعة العاشرة, دار وائل للنشر والتوزيع, عمان, ٢٠٠٩, ص٤٩

(٢٥) المشهد الايراني عشية العقوبات الدولية , ملفات استراتيجية , العدد (٥٠) , مركز القدس للدراسات السياسية , الاردن ,السنة الخامسة , ٢٠٠٧ , ص ١ .

٣. توجيه انتقادات لاذعة للمؤسسة الدينية الايرانية واهانت اغلب الرموز الثورية الايرانية والدعوة الى اعتماد المنهج الاسلامي في ادارة الدولة عن طريق العمل وفق المبادئ الثورية التي وضع اسسها (الامام الخميني) .

اما على الصعيد الخارجي فقد رسم (نجاد )ملامح ادارته لدور إيران وتوجهاتها الاقليمية عبر الاتي:[٢٦]

١. السعي الى ايجاد دور اقليمي لإيران يتناسب مع طموحاتها الاستراتيجية ومكانتها الاقليمية.
٢. استغلال المتغيرات الاقليمية و الدولية التي شهدها العالم في تلك الحقبة من اجل تفعيل دور إيران الاقليمي .
٣. اعتماد استراتيجيات تصادمية في التعامل مع القوى الاقليمية والدولية ، لاسيما الولايات المتحدة الامريكية و[اسرائيل].
٤. تأكيد الاستمرار في عمل البرنامج النووي الإيراني بوصفه احد المقومات الرئيسة في دعم مكانة إيران ودورها الاقليمي.
٥. التمسك بمبدأ تصدير الثورة عن طريق دعوته لاقامة شرق اوسط اسلامي تكون إيران هي القائدة فيه .

بعد وصول الرئيس (حسن روحاني) للسلطة , كان واجباً عليه تفعيل الدور الاستراتيجي الذي يمكن ان تلعبه إيران في الاقليم في ظل المتغيرات الاقليمية التي شهدتها المنطقة بعد عام ٢٠١٠,لذا كان من الضروري اخراج إيران من عزلتها وعدّها من الدول الاقليمية الفاعلة , ولضمان توسيع دور ايران في الاقليم من خلال ادوات جديدة , تقوم على الدبلوماسية الهادئة والحوار مع الدول المهمة في الاقليم والعالم .مروجاً لذلك عبر قوله :» لدى إيران الان الفرصة لتظهر كقوة اقليمية بدلا من مجرد العمل بدهاء على حماية استقلالها والحفاظ على نظامها .إذ ادرك الإيرانيون ان أوضاع القوى العالمية قد تغيرت بشكل لم يتوقعه احد , وخاصة بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية , وبالتالي فانهم يعلمون بانه كلما اصبحت ايران في وضع هجوم /عدائي اكثر, كلما ألزمت الولايات المتحدة الامريكية نفسها عسكريا لاحتواء ايران , ويمكن في الوقت ذاته ان تقوم امريكا بذلك حتى ولو لم تقم ايران باي عمل , وبذلك لابد لإيران الاستمرار في استراتيجيتها التوسعية لترسيخ نفوذها الاقليمي .[٢٧]

ولكي تضمن ايران قدرا من توفير البيئة المؤاتية لسياساتها الشرق اوسطية , رسم الرئيس (حسن روحاني) ملامح حدود ادارته لدور إيران وتوجهاتها الاقليمية من خلال ما يأتي :[٢٨]

١. توفير بيئة اقليمية هادئة من حولها من خلال :
   - تطوير علاقات اقليمية مع اكبر عدد ممكن من الدول

(٢٦) رأي تقيه , ايران الخفية ٠٠٠٠, مصدر سبق ذكره , ص ٦٦- ٦٨ .
(٢٧) فراس عباس هاشم , مصدر سبق ذكره , ص٤٨ .
(٢٨) قريب بلال , الثابت والمتغير في السياسية الخارجية الايرانية منطقة الشرق الاوسط (العلاقات الايرانية السعودية انموذج ) , مجلة الفكر , العد(الخامس عشر ) , جامعة خيضر بسكرة , ٢٠١٧ , ص٤٨٢.

- القدرة على اقناع دول المنطقة بترتيبات أمنية اقليمية مشتركة .
- ضمان قاعدة تأييد شعبي كافية عن طريق ٠التاثير الاعلامي .

٢. امتلاك وسائل القوة الدفاعية :

- صناعة عسكرية محلية .
- امتلاك ادوات الردع التقليدي .
- القدرة على توفير قدرات صاروخية بعيدة المدى .

بما ان التغيير التنظيمي يكون هادف ويسعى لتحقيق التكيف البيئي الداخلي والخارجي بما يضمن الانتقال لارتقاء بدور القيادة الاكثر فعالية, فان التوجهات إيران المتباينة تجاه التغيرات التي شهدت المنطقة العربية كانت موجهة ومقصودة وهادفة.[٢٩] فإيران تتبنى مجموعة اهداف تجاه عملية التغيير التي شهدتها المنطقة الغرض منها زيادة فعالية اداء السلوك الخارجي وهي:[٣٠]

١. تحقيق حالة من التوازن بين ايران ومحيطها الاقليمي , وادارة التغيير بما ينسجم مع مصالحها التي تؤدي الى تعاظم الدور الايراني على حساب دول المنطقة من خلال قدرتها على التأقلم مع البيئة الخارجية والتغيرات والظروف المحيطة بها وبالتالي تحقيق هدف الاستمرارية والبقاء .فمن لم يواكب التغيير عصف به , اذ مازالت سجلات التاريخ مفتوحة تدون لنا التغيير ومن هو المغّير لنقف على اسباب التغيير. والمستفيد هو الذي يخضع مخرجات التغيير لصالحه ليصب في محصلة بودقه مصالحه العليا , اذ ما علمنا ان ادارة التغيير تتطلب قراراً و استقراراً, وهذا مأستطاعت ايران من استثماره في اليمن بينما دول الخليج العربي الذين بقوا ينظرون في المراحل الاولى الى رياح التغيير التي عصفت بدولهم ولم يتداركو التغيير الاخير والاستجابة لانعكاساته بإرادة , فقد أوشك التغيير ان يطالهم , في وقت كان الحلفاء من القوى الكبرى يتعاملون مع الواقع المسيطر ما بعد التغيير . والحقيقة ان القوى الكبرى ليس لديها اصدقاء دائمون وانما لديهم مصالح دائمة وهو ما ادركتها المملكة العربية السعودية متأخرة بإعلانها عاصفة الحزم واعادة الامل[٣١], خاصة ان بعض الدوائر في واشنطن لا ترى في دول الخليج العربي موزاناً لإيران, ولا يتم التعامل معها على انها طرف في اي صفقة يمكن التوصل اليها مع إيران.[٣٢]

٢. تعديل وتغيير سلوك الحلفاء والاحزاب التابعة والموالية لمبادئ ولاية الفقيه بالمنطقة العربية بالتكيف مع التغييرات الحاصلة بالمنطقة لرفع قدرة الحلفاء

(٢٩) محمد حربي حسن, علم المنظمة الاصول والتطور والتكامل, دار الكتب للطباعة والنشر, الموصل, ٢٠٠٩, ص٢٩٢.
(٣٠) ثناء ابراهيم موسى فرحات , أدارة المكتبات ومراكز المعلومات من منظور حديث , الطبعة الاولى , الدار المصرية اللبنانية , القاهرة , ٢٠١١ , ص٨٨.
(٣١) سيف نصرت وتوفيق الهرمزي و حازم حمد موسى الجنابي , هلاك الامم :بين قوانين التغيير وقواعد القيادة (دراسة في تغيير دول الشرق الاوسط ) , مجلة الجيل الدراسات السياسية والعلاقات الدولية, العدد(٣) , مركز الجيل البحث العلمي , أغسطس ٢٠١٥, ص٩١ .
(٣٢) فراس عباس هاشم , مصدر سبق ذكره , ص٤٨.

والاحزاب على مسك زمام السلطة الحاكمة بما ينسجم مع المشروع الإيراني , لاسيما ان الدول العربية كانت ومازالت تعاني من نزعة الولاء الخارجي , وغياب الارادة وتشتت القيادة , واختلاف الايديولوجيات , كلها قادت نحو الاحتكام الى الخارج وفقدان المكون الاساسي لصالح الثانوي.[٣٣]

٣. ادخال التكنولوجيا الحديثة الى إيران واجراء التعديلات اللازمة للتغيير التقني التي تخدم برنامجها النووي .
٤. تقوية العلاقات والترابط والتعاون بين إيران والقوى الدولية .
٥. زيادة مقدرة إيران على الابداع في انتهاج المبادرات الاقليمية لمواجهات الازمات الخارجية وحل المشكلات الامنية .

واتساقا بما تقدم , يتضح ان للتغيير التنظيمي والاداري هدفين متلازمين بالنسبة للنظام السياسي الإيراني من اجل تحقيق حالة من التوازن بين إيران وبيئتها وتطوير الحلفاء التابعين لإيران في المنطقة , لتطوير قدرة إيران في ادارة النظام الاقليمي والتكيف مع المتغيرات البيئة الخارجية والداخلية تهئية للانتقال المرحلي نحو القيادة الاقليمية.[٣٤]

(٣٣) سيف نصرت وتوفيق الهرمزي و حازم حمد موسى الجنابي , مصدر سبق ذكره , ص٨٩.
(٣٤) جمال عبدالله محمد , أدارة التغيير والتطوير التنظيمي ,الطبعة الاولى , دار المعتز للنشر والتوزيع , عمان – الاردن , ٢٠١٤ , ص ١٦ –١٧ .

## المبحث الثالث

## اثر المتغيرات الخارجية على العلاقات الايرانية ـ العربية بعد عام ٢٠١١ .

لا يزال عالم اليوم يعيش متغيرات سريعة تجاه تبلور نظام دولي جديد وبهياكل جديدة تتضمن اطراً جديدة تتفاعل سلباً وايجاباً تبعاً لطبيعة التقاء او تعارض المصالح ، وربما الايديولوجيات والثقافات . وحتى الوقت الحاضر ثمة العديد من العوامل المهمة التي عملت على صياغة ادوار القوى الكبرى والاقليمية على وفق رؤى محددة لكيفية التعامل مع تلك المستجدات ومنها النزاعات التاريخية التي لم يتم ايجاد الحلول لها حتى الآن والتحديات الجديدة التي بدأت تظهر لاسيما بعد احداث الربيع العربي و التي اصبحت في صلب استراتيجيات الدول ومنها الحرب ضد الارهاب بخاصة بعد تزايد ما تعج به المناطق المهمة لبعض الدول العربية من التنظيمات والحركات المسلحة الدينية والانفصالية ضد الانظمة السياسية ولا يخفى كذلك الاهمية الجيوبوليتيكية التي تتمتع بها المنطقة كطريق تجاري بحري ومنطقة غنية بالثروات الطبيعية والتي تمثل المجال الحيوي لدول اقليمية ودولية ، كل تلك العوامل مثلت اشكالية في التأثير على البيئة الاستراتيجية للمنطقة ككل.[٣٥]

وعليه فان الامة (الدولة ) الامنة, هي الامة التي تمتلك سر فاعليته امنها الشامل , وهي الامة القادرة على توسيع الفرص والامل من خلال النمو البناء عبر حماية شعبها , داعمة بذلك اكتساب درجة عالية من الفاعلية والاقتدار في سلوكها وما تتخذه من تدابير , فضلا عما تولده من استبدال طرق الادارة التقليدية للتحديات بأخرى ناجحة وذات قدرة على احتساب عائد الهدف بكل ما تعنيه من تحديد لدور القوة العسكرية دون تجاهل حيوتها.[٣٦]

ومن نافلة القول الاشارة الى العديد من الادبيات التي انطلقت من افتراض وهو أن ظاهرة الدولة الفاشلة تقدم للتنظيمات الإرهابية فرصا مواتية لعدة أمور، أهمها تراجع قدرة الدولة علي إنفاذ القانون، والتدخل الخارجي في ادارة الدولة , حيث ينازعها في وظائفها فاعلون كثر، خاصة مع ظهور ما يعرف «بمناطق خارج سيطرة الدولة» Stateless Areas، والتي تعطي للتنظيمات الإرهابية إمكانية لتأسيس نمط مستقل من السلطة، بعيدا عن الدولة، علاوة علي تزايد معدلات العنف والسخط داخل تلك الدول، بصورة توفر للتنظيمات الإرهابية العابرة للحدود مخزونا بشريا يمكن الاعتماد عليه لتدعيم القوة البشرية للتنظيم . هذه المعطيات المرتبطة بأزمات الدولة كانت لها تجلياتها في منطقة الشرق الأوسط، خلال السنوات الماضية، حيث بات خيار التفكك/الانهيار مطروحا بشكل رئيسي في التعامل مع فكرة الدولة. فبعضها تعرضت وحدته الإقليمية للانحلال لتنشأ محلها دول أخرى كما حدث في السودان، والبعض الآخر شهد ضعفا

(٣٥) سهى مصطفى جابر , التغيير ... وتنامي الارهاب في ليبيا , قسم الدراسات السياسية , مركز النهرين للدراسات والابحاث الاستراتيجية , ٢٠١٨ , الموقع الالكتروني : https://www.alnahrain.iq .

(٣٦) منعم صاحي العمار وشيماء تركان صالح , الامن الوطني العراقي ومكافحة الارهاب «دراسة في اشكالية الادارة « مجلة دراسات دولية , العد الحادي والستون , مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية , جامعة بغداد , ٢٠١٥, ص ٣٦.

وتفككا للسلطة بحيث تغيب عن مناطق معينة من الدولة. ومن النماذج المهمة علي ذلك حالات سوريا، وليبيا، واليمن، والعراق في مرحلة ما بعد الثورات العربية. وهكذا، شكلت هذه الملامح دافعا لتعزيز أدوار التنظيمات الإرهابية العابرة للحدود بالمقابل تزايد ادوار وتنافس القوى الاقليمية.(٣٧)

طالما بدأ الامن جوهر ما تهدف اليه (الحكومات) حيث التنمية والاستقرار السياسي , دفع التوسع الذي أصاب اهداف النظام الايراني من ناحية , وتوسع التهديدات والتحديات التي تحيط بها من ناحية اخرى , الى أدراك رؤية مفادها ان تحقيق الامن لابد وان يعكس حالة تكامل بين أمن الدولة الداخلي والخارجي , انطلاقا من ان حماية الامن الداخلي لا تتم بمعزل عن حماية الامن الخارجي وانما هي امتداد لها , طالما بدأ الامن الوطني يمثل حالة مجتمعية الاستهداف , وهذا ما ظهر جليا مع تصاعد تأثير الارهاب واستطالاته الجيوبولتيكية في منطقة الشرق الاوسط (٣٨). وتعاملت ايران مع حالة الفوضى التي تسود الدول العربية كفرصة وتهديد معا , وسعت لاستثمار التهديد وتحويله الى فرصة , وتوظيف الفوضى وتخبط الاطراف الاخرى لتحقيق اهداف استراتيجية وتعزيز مكانة ايران ودورها مستقبلا , ولاياتي بناء صورة « ايران الحامية « بالنسبة لحلفائها في العراق وسوريا واليمن ولبنان بعيدا عن روح المركزية تلك.(٣٩)

مع التغيرات التي شهدتها المنطقة اثناء ثورات الربيع العربي اصبحت هناك ضرورة ملحة بالنسبة للإدارة الإيرانية تجاه اعادة طرح مفهوم الديمقراطية الدينية للشعوب الاسلامية و(نظريات الخميني) في حكم الهدف «ملء الفراغ الموجود بخصوص الاتجاهات المستقبلية لهذه الاحداث « . و «الديمقراطية الدينية» التي يتحدث عنها (خامنئي) يمكن ان تملا فراغات مستقبل التطورات في المنطقة , و يجد ذلك طريقه من خلال التبشير بالنموذج الثوري الايراني , والدعوة الى نظام حكم الشعب الديني . فالثورات العربية مقدمة «للصحوة الاسلامية» التي تحمل روح الثورة الإيرانية , وهو ما سبق و عبر عنه (خامنئي ) في كلمته امام مؤتمر دولي للصحوة الاسلامية في عام ٢٠١١ , حين قال «الانتفاضات العربية استلهمت من الثورة الإيرانية مفاهيمها ومعانيها».(٤٠)

وباستقراء حالات التغيير التي شهدتها المنطقة , استندت ايران لتحقيق اهدافها المتعلقة بالتغلغل وتوسيع مجال النفوذ والهيمنة في المنطقة على ثلاثة اعتبارات وهي:(٤١)

١. محاولة الاستفادة من الانقسام والفوضى وعدم الاستقرار وضعف السلطة المركزية لاختراق الدول , ومن ثم استغلال الانقسامات بين النخب السياسية المختلفة عبر الفصائل القريبة من ايران مذهبيا او المتفقة معها في التوجهات

(٣٧) محمد بسيوني عبد الحليم , الارهاب العابر للحدود ..الانماط والمحفزات , مجلة محلق اتجاهات نظرية , ٢٠١٥, على الموقع : www.siyassa.org .

(٣٨) منعم صاحي العمار و شيماء تركان صالح , مصدر سبق ذكره , ص ٣٦.

(٣٩) فاطمة الصمادي , ايران والثورات العربية : سرديات بناء المركزية الايرانية , تقارير , مركز الجزيرة للدراسات , الدوحة , ٨نوفمبر / تشرين الثاني ٢٠١٦ , ص٢٧ .

(٤٠) نجلاء مكاوي واخرون , مصدر سبق ذكره , ص٢٤٢.

(٤١) محمد حسن القاضي , الدور الايراني في اليمن وانعكاساته على الامن الاقليمي , مركز الخليج العربي للدراسات الايرانية, المملكة العربية السعودية , ٢٠١٧, ص٣٥.

,وذلك من خلال السعي لإقامة شراكات مع الفاعلين من دون دول (الفاعلين غير الرسمين ) وخصوصا من الجماعات الرافضة للأوضاع القائمة سواء على المستوى المحلي , نتيجة لتصور هذه الجماعات انها مهمشة سياسيا او اقتصاديا واجتماعيا , او على مستوى الاقليمي , نتيجة لعدم قناعة هذه الجماعات عن طبيعة التوازنات الاقليمية القائمة .

٢. اعتماد ايران سياسية النفس الطويل لتحقيق اكبر قدر من الارباح باقل الخسائر .

٣. دعم وتشجيع الجماعات أو الفصائل الموالية لإيران على العمل على مستويين يكون فيه المستوى الاول :داخل اطار الهيكل السياسي الرسمي للدول , عبر المشاركة في العملية السياسية في اطار مؤسسات الحكم الرسمية , حتى يكون لهذه الجماعات دور حاسم في القرارات الرئيسية لدولها , اما المستوى الثاني : خارج اطار الهيكل السياسي الرسمي للدول او بالتوازي معه , من خلال امتلاك هذه الجماعات لبنى تنظيمية مغلقة , ومصادر تمويل مستقلة وأذرع عسكرية خاصة بها , على نحو يجعلها غير خاضعة بشكل كامل لسلطة الدولة , ويتيح لها امكانية تقويض النظام السياسي القائم عندما تسير الامور بشكل يتنافى مع مصالح هذه الجماعات , او تعارض مع مصالح ايران في المنطقة كما هو الحال في اليمن (الجماعة الحوثين ), والعراق (المليشيات العسكرية , والتيارات الحزبية ), وفي لبنان (حزب الله ) .

وقد شكلت تلك المتغيرات لإيران مكاسب عدة, أتاحت لها المجال ليتبنى اسلوب تدخلي في الازمات الداخلية التي شهدتها الدول العربية في اطار الربيع العربي , محاولة منها حماية الاطراف الموالية لها ودعمها لوجستيا وعسكريا وهو ما تبين في سوريا واليمن وحتى البحرين التي خاضت من خلالها حروبا غير مباشرة لقلب موازين القوى اخرى تدخلت في هذه الازمات . وقد اكدت التصريحات الايرانية الرسمية على ان عقيدة إيران العسكرية والنووية تعتمد على المنطق الهجومي – الدفاعي الردعي هدفها الحفاظ على تماسك وحدة امنها الداخلي القومي من التهديدات الخارجية حيث تسخر امكانياتها ومواردها المادية لحماية امنها وحدودها , كما يمثل الجانب الردعي لإيران معادلة لرفع خطورة تكاليف المواجهة والاستعدادية العسكرية الى اقصى الحدود للتأثير على حسابات الخصم أو العدو والضغط عليه بمراجعتها قبل القيام باي هجوم يمكن ان يعود عليه سلبا.[٤٢]

تعتمد إيران اسلوبي الهجوم والدفاع في سياستها اتجاه المنطقة , فالأسلوب الاول: يظهر من خلال مواجهة كل ما يضر أو يمس بالمصالح الإيرانية في الشرق الاوسط سواء تعلق هذا الامر بدول اسلامية (دول الخليج العربي , تركيا) , او دول غير الاسلامية (الولايات المتحدة والكيان الصهيوني ), فهي سياسة تقوم على اساس ايقاف الاضطهاد للشيعة في المنطقة والذي تتسبب فيه دول اقليمية مثل السعودية حسب

(٤٢) شريفة بنت زيدان وطيبي محمد بلهاشمي الامين , الابعاد الاستراتيجية للصواريخ الباليستية الايرانية , مجلة العلوم القانونية والسياسية , العدد (٢), جامعة الشهيد حمه الخضر بالوادي , المجلد (١٠) , سبتمبر ٢٠١٩ , ص١٧٠٨.

المنظور الإيراني , كما و تقوم على اساس انهاء الوجود الغربي في المنطقة . وفي جانب اخر تقوم سياسة إيران في المنطقة على عدم الاعتراف بالكيان (الصهيوني ) واتهامه له بالتسبب في كل ازمات المنطقة , وما يمكن لإيران ان يساعدها على تحقيق سياستها الشرق اوسطية هو اظهار نفسها كقوة اقليمية كبرى وهذا ما يبرر سعيها المتواصل نحو امتلاك السلاح النووي .(٤٣)

إنّ الكلام أعلاه يشير الى وجود مرتكزين في السياسة الخارجية الإيرانية ؛ الأول :استمرارية السياسة التقليدية في المحافظة على النفوذ والقوة الإقليمية وإضعاف واستبعاد أي تهديد من جانب منافسيها التقليديين(روسيا وتركيا والعربية السعودية فضلا عن الولايات المتحدة الامريكية و[اسرائيل ] من أجل حفظ أمنها الداخلي والخارجي ؛لأنّ اختباراتها التاريخية تشير على أنها تعرضت خلال القرن العشرين الى احتلالات عدة وهي اليوم أيضا مطوقة من جديد , لأن إيران تقوم على نواة شيعية يحيط بها طوق من الأقليات الوطنية غير الشيعية وذات ميول انفصالية غير معلنة صراحة, قد تشكل نقاطا واهية ومناطق اختراق لأعداء محتملين , اما الثاني فيشير الى أن إيران تطمح لأن تؤدي دور قائد عالمي للثورة الإسلامية التي تهدف الى إرساء إسلام شيعي شامل هدفه أسلمة العالم .فقد فضلت ايران في بداية الثورة الاعتماد على الطوائف الشيعية غير الإيرانية .كالهزارة في أفغانستان والشيعة في جنوب لبنان والأذريين . أكثر منها على جماعات إيرانية عرقيا .كالأكراد والطاجيك. وهو طموح عقائدي إيراني وأداء لواجب شرعي بوجوب هداية الإسلام الى التشيع في مجمل أرض الإسلام لأن ذلك إرساء للإسلام الحقيقي(٤٤). وهذا ما يفسر اعتقاد ايران بانها مستهدفة و محاطة بالمخاطر في النظام الاقليمي شرق اوسطي من دون حليف شيعي قوي يمكنها الاعتماد عليه وهو ما يبرر قيام ايران بردات فعل استباقية اتجاه كل ما تراه يهددها او يهدد الوجود الشيعي في منطقة الشرق الاوسط.(٤٥)

إنّ العلاقة العربية – الإيرانية لن تستقيم وتتطور وتتعزز، بسبب كثرة الإشكاليات والعوائق والتحديات التي تواجهها، إلا إذا تمَّ إرساء قاعدتين رئيسيتين لهذه العلاقة خصوصاً إن علاقة الجوار التي تحكم العرب وإيران هي علاقة لا يمكن لأي طرف أن يلغيها، أو يتجاهلها، أو يتنكر لها، وهاتين القاعدتين هما:(٤٦)

**أولاً:** فهم إيراني كامل لخصوصيات الواقع العربي بكل تعقيداته، ولاحترام مكوناته القومية والدينية والاجتماعية المتعددة، والتسليم بقدرة الدول العربية على مواجهة إشكالات العلاقات بين دولها وجماعاتها وشرائحها دون أي تدخل خارجي وبالتالي السعي لتجاوز كل الحساسيات والرواسب التي ما زالت تتحكم بهذه العلاقة.

**ثانياً:** إدراك عربي صادق للبعد الاستراتيجي والحضاري للعلاقة مع إيران، وللقوة الكبيرة التي يوفرها تفاهم عربي – إيراني على كل المستويات السياسية والاقتصادية

(٤٣) بلال قريب , مصدر سبق ذكره , ص ٤٨١.
(٤٤) فرانسوا تويال , مصدر سبق ذكره , ص٦٢ –٦٦ .
(٤٥) بلال قريب , مصدر سبق ذكره , ص٤٨٢ .
(٤٦) معن بشور , العلاقات العربية , ٢٠٠٦ , على الموقع الالكتروني : . meo.news

والأمنية والدفاعية والثقافية والاجتماعية وبالتالي نبذ كل الدعوات الأميركية والصهيونية للإيقاع بين العرب وإيران بمسمّيات مختلفة.

إن التسليم بهاتين القاعدتين يشكل اليوم مدخلاً لكل الإشكالات والالتباسات القائمة، خصوصاً إن بين هذه الإشكالات تداخلاً وتشابكاً، حيث يؤدي بقاؤها الى تغذيتها وتعميقها، فيما تؤدي معالجة الواحدة منها الى معالجة بقية الإشكالات .

فالاستراتيجية الايرانية , وان كانت غايتها توسعية نحو الهيمنة , الا ان الحقيقة لا يمكن ان تكون الا دفاعية , وحتى لو كان صوتها وخطابها يوحي وكأنها في موقع الهجوم , فالمعطيات والوقائع الاستراتيجية القائمة كلها تؤكد هذه الحقيقة, و كل الجهود الإيرانية بكل مستوياتها تستهدف فك عزلتها, وانهاء المخاطر المحدقة بها , والتعامل مع دورها ونفوذها بوصفه حاجة ضرورية لأمنها القومي , وليس لتهديد الاخرين .على العكس من جهود القوى الاخرى التي تستهدف اعتبار إيران العدو الحقيقي والقادم للعالم العربي, ولا تتورع هذه الجهود عن استخدام كل الوسائل , لخلق حالة العداء الإيراني العربي .[٤٧]

وبالفعل سيطرة فكرة العداء لبعض الدول العربية تجاه إيران , بل تعد الامر ليصبح ضرورة التوجه لأنهاء اي تعاون او وجود إيراني – عربي سواء على الساحة المحلية او في الاطار السياسي , الامر الذي دفع إيران لإعادة تأويل المشهد العربي كجزء أصيلا من أعادة خلقه وتشكيله . اذ أن وصف المرشد( علي الخامنئي ) الثورات العربية كحركة (يقظة اسلامية) ليس سوى قراءة للواقع , بل مسعى لاعادة خلقه خطابيا على هذا النسق . وهكذا نظرت الادارة الإيرانية بمختلف مكوناتها وعلى اختلاف درجات جمودها وبراغماتيها ( المنعكسة على خطاباتها) الى التغيير الذي شهدته المنطقة العربية , حالة من المخاض السياسي والثقافي التي يجب استغلاله لتعزيز موقع إيران الاقليمي اقتصادياً وسياسياً وايديولوجياً .[٤٨] وعليه سيتم دراسة المواقف الإيرانية من التغييرات العربية على النحو الاتي :-

**اولا : الموقف الايراني من التغيير السياسي في المشرق العربي بعد عام ٢٠١١ ( العراق , سوريا , البحرين أنموذج ) .**

وفقاً للتطور الاحداث التي مرت بها منطقة المشرق العربي قبل ثورات الربيع العربي , و خريطة توزيع القوى , فانه كان من المرجح ان تستمر السياسة الخارجية الإيرانية على مستوى الاقليم حتى عام ٢٠٢٠ , على ما هي عليه من تعاون اقتصادي و مصالح اقتصادية ,على مستوى المجالات الحيوية في القوقاز وشرق اسيا , فيما تستمر إيران في توسع نفوذها غرباً في الهلال الخصيب وشبه الجزيرة العربية , مستخدمة في ذلك نفوذها السياسي و ادوات القوة الناعمة , الا ان السياسية الخارجية الإيرانية , والمشروع الاقليمي الإيراني برمته , قد مرَ في الفترة الاخيرة بالعديد من المحطات التي يمكن وصفها بالانقلابية التي كان لها التأثير على الدولة وعلى المشروع وقد تؤدي الى

(٤٧) محمد الاحمري وأخرون , العلاقات العربية الإيرانية في منطقة الخليج ,الطبعة الاولى , منتدى العلاقات العربية والدولية ,الدوحة – قطر ,٢٠١٥ , ص٣٨.

(٤٨) نجلاء مكاوي واخرون , مصدر سبق ذكره , ص٢٤٥.

تغيير في المواقف بالنسبة لإيران في ما يخص كفاءة صيرورة مشروعها للهيمنة الاقليمية وتقدمه , وقد تفت في عقد المشروع التوسعي الإيراني في المنطقة مهما كانت الاسباب المكاسب الانية المتحققة , كما في الاتفاق النووي الإيراني الغربي . وكان من المفترض ان يكون لهذه التطورات انعكاسات فورية على السياسية الخارجية الإيرانية , ولكن ذلك لم يتم في ظل السيطرة العقلية الاصولية لو صح التعبير على مفاصل عمليه صناعة القرار في إيران , والتي ترفض اي تحويل في المسارات مهما كانت العقبات والتحديات التي تطرأ في ظل القداسة التي عليها المشروع الاقليمي للدولة والثورة .(٤٩)

ومن الجدير بالذكر, تتبع إيران منذ سقوط النظام العراقي بعد عام ٢٠٠٣ , ثلاث سبل لبسط نفوذها على السياسات العراقية لإدارة التغيير في طبيعة النظام السياسي العراقي بما يخدم المعادلة الاقليمية لصالح إيران وهي :-(٥٠)

**اولا- تعزيز نفوذها الديني والترويج لولاية الفقيه.**

**ثانيا- التموضع على انها المتحكم الرئيسي في النزاعات السياسية العراقية** .إذ تساعد إيران حلفائها على اختلافهم لاكتساب المزيد من القوة من خلال العملية السياسية العراقية , ثم العمل على نشوب الخصومة فيما بينهم لتأتي منقذاً وتفض نزاعاً غالباً ما تكون هي المسبب فيه.

**ثالثا- مراقبة وادارة التحركات العنيفة بين الميليشيات الشيعية الموالية** بمثابة وسيلة للضغط على الجهات الفاعلة في النظام السياسي .

تركز إيران سياستها في الحفاظ على نفوذها في العراق على اساس تشكيل حكومات مركزية يقودها الشيعة , مع الحرص على أن لا تخرج هذه الحكومات عن سيطرتها , وبالتالي فان النفوذ الإيراني القوي داخل الحكومة المركزية , كما بين الجهات الفاعلة غير حكومية التي تتحدى السلطة المركزية , جعل من إيران متمرسة في الاستفادة من النظام العراقي البرلماني الذي يحتاج الى تحالفات لكي يحكم , وقد استفادت إيران من اقناع الشيعة للترشيح في لوائح موحدة للاستفادة من قوتها الديموغرافية في الانتخابات العراقية في جميع الدورات السابقة ,هذه اللوائح تسيطر عليها باستمرار مجموعات مقربة من إيران من ناحية , ومن ناحية اخرى تواجد بعض القيادات الإيرانية داخل الدولة تتحكم بالقرارت السياسية , ولعل ما قام به قائد فيلق القدس سابقا (قاسم سليماني) باشتراكه بصورة مباشرة في كل مناقشات الحكومة العراقية منذ سقوط النظام السياسي عام ٢٠٠٣ , ودوره التحكمي السياسي بين الاحزاب العراقية الشيعية ,مترأساً كل النشاطات الإيرانية في العراق وسوريا , بما في ذلك مراقبة المليشيات الشيعية , و صرف الاموال للقيادات السياسية ومراقبة نشاطات قوة الاقناع بفضل صلة (سليماني) مع التيارات والاحزاب الشيعة والقادة الاكراد والقيادات السياسية للطوائف الاخرى.(٥١)

---

(٤٩) احمد محمود التلاوي , ايران وصراع الاصوليات في الشرق الاوسط(سياسات تعميم الفوضى الاقليمية ودور ايران فيها , الطبعة الاولى , شركة الرسالة للصحافة و الطباعة والنشر والتوزيع , الجيزة – مصر ,٢٠١٦, ص١٣٦-١٣٧ .

(٥٠) عيرظا نادر , الدور الذي تطلع به ايران في العراق (هل من مجال للتعاون بين الولايات المتحدة الامريكية وايران ) , وجهة نظر , مؤسسة راند , سانتا مونيكا – كاليفورنيا , ٢٠١٦, ص٣ .

(٥١) المصدر نفسه , ص٥.



كلية القانون و العلوم السياسية

لقد دعمت إيران العملية السياسية في العراق و اتاحت لحلفائها السيطرة على مفاصل الدول ومقدماتها وقرارها السياسي , هذا الدعم تسبب بتهميش بعض الاطراف العراقية الاخرى , وبخاصة العرب (السنة) في المناطق العراقية الشمالية والشمالية الغربية التي بات تشعر بالإقصاء والتميز على اسس طائفية , وهو ما دفع العشائر العربية وهي متأثرة بموجات الربيع العربي , لتتوجه نحو تنظيم احتجاجات شعبية واسعة تعامل معها رئيس الوزراء الاسبق (نوري المالكي) بالقوة وبإجراءات مشددة في ٢٣-٤-٢٠١٣ , ورفض التجاوب مع مطالب المحتجين بإلغاء سياسات التهميش والاقصاء والتعامل الطائفي , الامر الذي زاد من توفر ارضية خصبة وبيئة مؤاتية ,وحاضنة لفكرة المواجهة مع الدولة و والانضمام للتنظيمات مسلحة , وبالتالي زداد تنامي مساحات القتال بين الامن والجيش مع مسلحي المناطق الغربية والشمالية الغربية من العراق, في عام (٢٠١٢ - ٢٠١٣ ) , الا ان وصل الامر لسيطرة التنظيم الدولة الاسلامية (داعش) على الموصل والتمدد لاحقاً الى حدود بغداد.(٥٢)

لابد من الاشارة ,أن تنظيم الدولة الاسلامية (داعش) حقق تقدماً في العراق بعد رفع شعار «الحرب ضد الروافض» وكانت الشيعة كأولوية بالاستهداف , ليصبح التنظيم اكثر قبولا من التنظيمات الاخرى في جميع انحاء العالم , يقود جهة اخرى هي الصدام بين التنظيم (داعش) وإيران , لاسيما وهو يتمدد شرقاً في العراق واقترابه من مناطق تمركز الشيعة في جنوب العراق , ليضع إيران امام خيار كانت دائماً تتوخى اتخاده او تتفاداها بكل الوسائل , وهو التدخل العسكري المباشر والمعلن في العراق وسوريا معاً , حيث ترتكز السياسية الإيرانية في توسيع نفوذها ودورها في المنطقة باستخدام ادوات القوة الناعمة والقوة الصلبة للقوى المتحالفة , ادراكاً منها بخطورة التدخل المباشر والمعلن في البلدان العربية على خلفية حسابات تاريخية وقومية ومذهبية حاضر لدى القوة الإيرانية والدول العربية .(٥٣)

وبعد أن تطورت الاحداث في سوريا , باتت الاستراتيجية الإيرانية, لحد عام ٢٠١٤ , غير مجدية لتحقيق المصالح الإيرانية ومصالح حلفائها بالمنطقة , لاسيما في ظل عدم قدرة عائلة (الاسد) وحلفائها المحليين على تحقيق الانتصار في المعركة , من دون دعم خارجي , فأضطرت ايران نحو التغيير استراتيجيتها تبعاً لتغير الظروف التي طرأت , فتوجهت بأرسال مقاتلين وخبراء من الحرس الثوري الإيراني , وكذلك دعم النظام السوري بالمليشيات من الشيعة العرب ابرزها (حزب الله) اللبناني و(لواء ابو الفضل العباس ) و(عصائب اهل الحق) من العراق , والتي كانت تحركاتهم جميعا تحت اوامر الحرس الثوري الإيراني , وبالتالي انتج عنها توسع صراع الاصوليات السنية والشيعية والذي كان من اشد الصراعات الاصولية الدينية في المنطقة. (٥٤)

وأزداد التواجد الفعلي للتموضع الايراني في سوريا بعدما سلم الرئيس (بشار

(٥٢) فريق الازمات العربي , الازمة العراقية الى أين , العدد التاسع , مركز دراسات الشرق الاوسط الاردن , الاردن , ايلول /سبتمبر ٢٠١٥ , ص١٥ .
(٥٣) احمد محمود التلاوي , مصدر سبق ذكره , ص٧١ .
(٥٤) المصدر نفسه , ص٧٢.

الاسد) زمام المبادرة لإيران لإدارة المعركة بعد انشقاقات كبيرة في صفوف الجيش , واصبح كامل القرار العسكري في سوريا بيد قادة عسكريين ايرانيين , وبدورها عملت ايران بهدوء على تأسيس «نظام ظل» يتضمن الكثير من المؤسسات الامنية والعسكرية , أهمها المليشيات البعيدة سلطة المركز , فضلا عن تأسيسها «قوات الدفاع الوطني « لتكون تحت تأثير ايراني مباشر عبر تدريبها في ايران وتقديم التمويل لها. ورغم ان التدخل العسكري الايراني ساهم في صمود نظام (الاسد) , وادت الزيادة الكبيرة في القوات الايرانية على الساحة السورية الى تصاعد كبير في النهج الايراني وتعظيم قدرتها ما يدلل على ذلك التصريحات المتكررة للمسؤولين الايرانيين منها ما ادلى بها النائب في البرلمان الايراني عن إيران (علي رضا زاكاني) في أيلول ٢٠١٤ , بقوله « لو تأخرنا في اتخاذ القرارات الحاسمة تجاه الازمة السورية ولم نتدخل عسكريا لسقط النظام السوري منذ بداية انطلاق الثورة» ادى هذا الامر عملياً الى سيطرة ايران على القرار السياسي والعسكري لنظام (الاسد ) كنتيجة مباشرة لارتباط استمرارها بهذا التدخل , وهي تهدف من وراء ذلك استخدام الملف السوري في اطار رؤاها لتوجهاتها كقطب اقليمي قادر على فرض ارادته على الدول الاقليم بما يحقق مصالحها باعتبار سوريا حجر الاساس في هذا المشروع , وتهدئة قلقها الناجم عن تطورات المشهد السوري الذي قد يستثنيها في حال وجد اي تنسيق اقليمي او دولي حول مستقبل سوريا , دون ان تغفل عن تبادل الادوار بينها و بين الروس من خلال الملفات المشتركة بينهم وهي (بحر قزوين ,والقوقاز, و اذربيجان وارمينيا اضافة الى الملف النووي ) .[٥٥]

وعلى اثر ذلك تدخلت إيران عسكرياً بصورة واضحة في العراق وسوريا , بهدف لمواجهة خطر التنظيمات الارهابية المتشددة , ومن خلال تقديم الدعم العسكري المباشر , وعبر المستشارين العسكريين لدرجة ان يقود لواء إيراني عمليات الجيش والحشد الشعبي لاستعادة منطقة البيجي العراقية في حزيران ٢٠١٤ , مما تسبب بتدمير السيطرة الامنية للجيش في ظل الحكومة العراقية الجديدة وقتها برئاسة (حيدر العبادي) , وقد وفرت عمليات التحالف الدولي في العراق ضد التنظيم الدولة الاسلامية( داعش), غطاءاً للتدخل الإيراني المباشر في العراق وسوريا , وعزز حالة من التعاون الامريكي الإيراني , في استهداف تنظيم الدولة الاسلامي ( داعش), كما دعمت إيران تشكيلات و مجموعات تابعة للحشد الشعبي بكافة الوسائل , بعد ان فشلت القوات العراقية النظامية في مواجهة هذا التنظيم الذي بات يسيطر على مساحات واسعة من الاراضي العراقية[٥٦], الموقف الذي لم يمنع الولايات المتحدة الامريكية من التأييد الضمني غير المعلن الى الجهد الإيراني لمجابهة التنظيم وتحرير الاراضي التي تم السيطرة عليها من قبل التنظيم باستخدام الطيران والقوات الجوية الإيرانية , ما دام يدخل في اطار المحافظة على الوضع العراقي من الانهيار التي كانت لها اليد في التغيير السياسي.[٥٧]

(٥٥) رشيد حوراني , ارتدادات التدخل العسكري الايراني في سوريا , ابحاث عسكرية , مركز طوران لأبحاث والدراسات الاستراتيجية , ٢٠١٧ , ص١٢.

(٥٦) فريق الازمات العربي , مصدر سبق ذكره , ص١٦ .

(٥٧) جاسم يونس الحريري , الدور الخليجي في العراق (دراسة حالة أحداث الموصل ٢٠١٤ ) ,الطبعة الاولى , دار الجنان

وفي سوريا تبنت إيران خطاباً سياسياً يحذر مما تعده (الكارثة) , تحل بسقوط النظام , كون التركيبة الطائفية الهشة والمعقدة في سوريا ستختل وهو ما يسمح بتمدد القوى الاسلامية المتطرفة من تنظيمات الارهابية بمختلف تسمياتها , خصوصاً في نسخة الاشد تطرفاً ,والتي تخلق فوضى عارمة , لن تبقى اثارها ضمن حدود سوريا بل تستمر بجواره الجغرافي , بل تتعداه نحو المجال الاقليمي كلها.(٥٨)

يمكننا القول , ان التدخل العسكري لمحاربة التنظيم الارهابي , شكل فرصة لتغيير صورة إيران في العالم , لتثبت مزاعمها بأنها قوة مهمة في الشرق الاوسط وينبغي الاعتراف بها كمفتاح اساسي في حل معضلات المنطقة , وهو ما جعل بعض الدول تطلب مساعدتها رسمياً بمحاربة التنظيمات الارهابية , ففي الوقت الذي يبدو فيه العالم العربي متناحراً وغارقاً في مشاكله ومحكوماً باستراتيجية رخوة من قبل لاعبين الرئيسين تظهر إيران مستقرة هادئة , تمارس استراتيجية صلبة محكمة , تمكنت من تدخلها لامساك بمزيد من الاوراق الرابحة في سوريا والعراق , و استثمارته بكفاءة في ملفات إيرانية , على راسها الملف النووي , فضلا انها أعطت صورة لحلفائها بالمنطقة بانها هي الدولة الوحيدة القادرة على استخدم ادوات القوة الناعمة والصلبة في الدفاع عن حلفائها بالمنطقة .(٥٩)

اما الحديث عن البحرين , نرى انها تمتلك خصوصية عن مثيلاتها من دول الخليج العربي , فهي تجمع بين السلطة الميراثية من النوع القديم المشترك بين الملكيات والامارات القبلية في الخليج العربي , وسمات خصوصية تحددها اثنان للجزيرة والأرخبيل تجعلان منها الحلقة الاضعف في مجلس التعاون الخليجي ,فهي من جهة الملكية الخليجية الوحيدة التي تشكل الشيعة الاغلبية العظمى فيها من السكان , ومن جهة اخرى تمتلك قدراً اقل نسبياُ من موارد النفط والغاز وبالتالي سعت إيران بعد احداث الربيع العربي واحتجاجات التي شهدته «دوار اللؤلؤة « للاستثمار هذه التحركات فيما يخدم ادارة التغيير لصالح إيران في منطقة الخليج العربي عن طريق البحرين , الا بعد ارسال قوات «درع الجزيرة «, من قبل مجلس التعاون الخليجي التي انهت حركة الاحتجاجات , دخلت إيران والسعودية للتنافس على النفوذ , بعد ان كانت مستبعدة من قبل إيران ان تدخل قوات خليجية مشتركة اقليمياً لساحات الاحتجاجات(٦٠), الا ان المملكة العربية السعودية كانت ولا تزال ضد كل ثورات الربيع العربي و لم تدعم الا الثورة السورية , وكل ذلك يعود الى اعتقادها وهو الاصح بانها تلك الثورات قد اضعفت مكانة السعودية في المحيط الاقليمي , ونقلت الى شعبها بعض العدوى الثورية والديمقراطية , التي عززت من مكانة إيران. (٦١)

---

للنشر والتوزيع , عمان – الاردن , ص٨.

(٥٨) من ثورات الشعوب الى ساحة للتنافس الاقليمي والدولي :المنطقة العربية بين صعود تنظيم الدولة والانخراط الأمريكي المتجدد , تقرير الدوحة , مصدر سبق ذكره , ص١٢.

(٥٩) فاطمة الصمادي , مصدر سبق ذكره , ص ١٦ –١٧.

(٦٠) نادية فاضل عباس فضلي , الاصلاح السياسي في البحرين وإمكانية النجاح , مجلة قضايا سياسية , العددان (٤٨ – ٤٩ ) , كلية العلوم السياسية , جامعة النهرين , ٢٠١٧ , ص٢١٤.

(٦١) حمزة الحسن , الموقف الخليجي انتصارات الذات ,التقرير الاستراتيجي , مركز البحرين للدراسات في لندن , لندن ,

**ثانيا : الموقف الإيراني من التغيير السياسي لدول الشمال الافريقي بعد عام ٢٠١١ ( تونس , مصر انموذج ) :-**

كانت إيران تستشعر تفوقا معنويا بصفتها الدولة الثورية الوحيدة بالمنطقة , الا انه مع سقوط الرئيس التونسي ( زين العابدين بن علي ) , وتسارع الثورة المصرية ضد النظام الرئيس الاسبق ( محمد حسني مبارك ), بدأ الموقف الايراني يتبلور ويتضح باتجاه تأتييد الثورتين , والاحتفاء بهما وهو ما ينطبق على الجانب الرسمي , ومواقف تياري المحافظين والاصلاحين .[٦٢]

ومنذ البداية , اختلف الجميع حول تأثير إيران في تونس ,اذ يعتقد البعض ان حكم «زين العابدين بن علي» المخلوع , فتح المجال امام التشيع في تونس , وسمح للمذهب الشيعي بالتمدد , في اطار التكتيك بعيد المدى لعودة الاسلاميين الى الساحة السياسية , وتوجيههم للاهتمام بالصراع المذهبي , اذ كانت العلاقات بين تونس وايران جيدة على المستوى الاقتصادي والسياسي , و تكثفت زيارات رجال الثقافة والدين الإيرانيين الى تونس , ويظهر أن النظام في تونس وقتئذ قد تغاضى عن نشاط الشيعي في البلاد حتى يحافظ على متانة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين . وعلى الرغم ما صدر من رسائل تحذير من قبل ( راشد الغنوشي ) [٦٣]* , في منفاه البريطاني من ظاهرة انتشار التشيع في مناطق المغرب العربي وبالذات في تونس[٦٤]. يرى البعض , ان حدث الثورة الإيرانية في السبعينات مثل منعرجاً كبيراً في الخطاب الايديولوجي لحركة الاتجاه الاسلامي في تونس , متأثرة بالمرجعية الفكرية التقدمية الشيعية, خاصة وان تلك الحركة أرادت ان تبرز بلا تعارض في الاهداف بين الثورة الإيرانية والتوجه الأخواني , في اقامة الدولة الاسلامية , الا انها ادركت ان ذلك التأثير لم ينل من مكانتها الفكرية , وانما امتد التأثير الثوري الشيعي الإيراني بين المثقفين العرب وتفاعلوا ايجابيا مع الاطروحات الفكرية المعادية للغرب.[٦٥]

وبعد سلسلة الاحتجاجات التي شهدتها تونس ضد النظام عام ٢٠١١, ثَمَّنَ المسؤولون الإيرانيون ثورة الشّعب التونسي، مؤكّدين على ضرورة احترام إرادتهم، كما دعوْا التونسيّين إلى الحذر من التدخّلات الأميركية و[الإسرائيلية]. وأبرز معظم المسؤولين قناعتهم بكون الثورة التونسية من نتائج الثورة الإسلامية الإيرانية وآثارها . بعد مغادرة الرئيس التونسي المخلوع «زين العابدين بن علي» بلاده، صرّح الناطق الرّسمي باسم الخارجية الإيرانية «رامين مهمانبرست» قائلا: «ما يهمّنا جميعا هو تحقّق إرادة الشعب

١٥ يناير ٢٠١٣ , ص٧١ .

(٦٢) عبد الحميد العيد الموساوي , قراءة في العلاقات ايران الاقليمية والدولية ,الطبعة الاولى , دار أمجد للنشر والتوزيع , عمان , ٢٠١٧ , ص٢٧٢.

(٦٣) * يعد الشيخ راشد بن الغنوشي احد أبرز وجوه الحركة الاسلامية التونسية والاسلامية في العالم العربي , للمزيد ينظر : عبد التواب عبدالله , راشد الغنوشي سيرة شخصية وقراءة فكرية , كتاب (من قبضة بن علي الى ثورة الياسمين الاسلام السياسي في تونس ) , الطبعة الثالثة , مركز المسبار للدراسات والبحوث , الامارات العربية المتحدة , ٢٠١١ , ٢٤٧ .

(٦٤) احمد نوري النعيمي , السياسة الخارجية الايرانية بين الثوابت والمتغيرات , الطبعة الاولى , دار امجد للنشر والتوزيع ,المملكة الاردنية الهاشمية , ٢٠١٦ , ص ٧٤٨.

(٦٥) أعلية علاني ومجموعة باحثين , الحركة الاسلامية التونسية ومسألة البحث عن الذات , كتاب (من قبضة بن علي الى ثورة الياسمين الاسلام السياسي في تونس ), مصدر سبق ذكره , ص ١٩٤ , ٢٢٩.

التونسي في أحسن الظروف، على اعتبار أنّ تونس يمكنها أن تؤدّي دورا هاما في العالم الإسلامي». وبعد تأكيد انتصار الثورة، قال الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد إنّ الشّعب التونسي أسقط الديكتاتورية بشعارات إسلامية مطالبة بالعدالة. ودعا الغرب، خاصّة الولايات المتحدة الامريكية و[ إسرائيل] , إلى عدم التدخّل في الشّؤون التونسية، مؤكّدا أنّ الشّعب التونسي يسعى إلى إقامة الأحكام الإسلامية ولن يستسلم مرّةً أخرى للغرب, بينما أعلن ٢٢٨ نائبا من أعضاء البرلمان الإيراني دعمهم للثورة التونسية، وأصدروا بيانا ذكّروا فيه بالتاريخ التونسي العريق في مواجهة الاستبداد والاستعمار، ودعوا باقي الأنظمة العربية إلى الاعتبار. وفي الرابع من فبراير ٢٠١١، قال مرشد الثورة الإسلامية الإيرانية (علي الخامنئي) ، « إن المحرك الأساس للثورة التونسية هو إحساس الناس الشديد بالإهانة، وليس ما يروّجه البعض من الأسباب الاقتصادية أو غيرها، وهي عوامل مؤثّرة بالطبع» . وأشار إلى «أنّ ما حدث ليس إلاّ بداية لتحقّق توقّعات الإمام «الخميني», التي أعلنها قبل سنوات طويلة» . وأوضح مرشد الثورة الإيرانية «أنّ لديه تقاريرَ تثبت أنّ الرئيس التونسي المخلوع (زين العابدين بن علي) , كان عميلا لجهاز المخابرات الأميركية» ، وقال: «إنّ الدافع الأساسي لهذه الثورة هو الإسلام» . ومن جهته، علّق وزير الخارجيّة الاسبق الإيراني (علي أكبر صالحي) على الثورة التونسية وما تشهده المنطقة العربية من تحوّلات بقوله «إنّ عصر تحكّم الإدارة الأميركية في المنطقة وهندستها قد انتهى» ، وأضاف «أن ذلك يعني أيضا نهاية الأنظمة العربية غير الشعبية» .[٦٦]

ومن بين بلدان الشرق الاوسط وشمال أفريقيا كلها , أحرزت تونس تقدماً الاكبر باتجاه عملية الانتقال السياسي[٦٧], واستمرت إيران بتوثيق علاقاته مع تونس بعد ان سمحت لها الفرصة للتمدد والانتشار بصورة اقوى من ذي قبل . ففي أقل من عامين نجحت في توقيع ١٦ اتفاقية اقتصادية وثقافية وتعليمية واعلامية ,وأستضافت أسبوعاً ثقافيا في طهران ,بل أصدرت في عام ٢٠١٣, قراراً من جانب واحد وهو يقضي بإلغاء التأشيرات عن المواطنين الراغبين بزيارة إيران[٦٨], وحتى بعد أزمة ( كوفيد –١٩) لم تتراجع العلاقات بين البلدين , بل أكدت على فاعليته بعد ان قام الرئيس (حسن روحاني) , باتصال هاتفي لنظيره التونسي، «قيس سعيد» ، معرباً عن أمله بتعزيز العلاقات والتعاون بين إيران وتونس في المرحلة الجديدة أكثر مما مضى، وزيادة التعاون والتشاور بين البلدين في مختلف القضايا والموضوعات الإقليمية والدولية , واعتبر «حسن روحاني» , « تشكيل الحكومة الجديدة في تونس بأنها فرصة جديدة لابد من اغتنامها لتطوير العلاقات والتعاون بين البلدين، مؤكدا ضرورة بذل الجهود في إطار تنمية العلاقات الثنائية الشاملة وتعزيزها» , وأضاف , « إن الجمهورية الإسلامية

(٦٦) رشيد يلوح , ايران والثورتان التونسية والمصرية , سلسلة تقييم حالة , المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات , معهد الدوحة , الدوحة , نسيان ٢٠١١, ص٤–٥ .

(٦٧) كريستو فرس. تشيفيس و بينجامين فيشمان , ديناميكيات السياسات الخارجية الاقليمية وتداعياتها على منطقة البحر الابيض المتوسط , منظور تحليلي ,مؤسسة راند , ٢٠١٧ , ص٦ .

(٦٨) عبد الله الشمري ،ايران وتونس الجديدة ودبلوماسية السينما ، صحيفة اليوم , السعودية , ٢٥ / ٢/ ٢٠١٣ ، على الموقع الالكتروني : alyaum .com .

الإيرانية لا ترى أية قيود في تنمية العلاقات والتعاون مع الجمهورية التونسية، داعيا إلى الاستفادة جيدا من الطاقات والقدرات لدى البلدين في هذا الإطار «, بالمقابل انتقد «قيس سعيد» , الحظر الأميركي غير الإنساني المفروض على الشعب الإيراني، وقال» نعتقد إذ تواجه كل الدول اليوم انتشار فايروس كورونا، فأن على منظمة الأمم المتحدة أن تكون لجميع الشعوب» ، ومن المؤكد أن إيران وتونس تفقان جنبا إلى جنب في مكافحة مختلف التحديات العالمية ومواجهتها، بما فيها انتشار فيروس( كوفيد- ١٩ ).[٦٩]

من جانب اخر, فان مصر وإيران دولتان ذات تأثير اقليمي , لكل منهما اهدافهما و رؤيتهما الخاصة لتحقيق مصالحهما , وعلى هذا الاساس تدرك كلاهما, أن احداهما منافسة للأخرى اذ تنظر إيران الى مصر كقوة جيوبولتيكية منافسة لها , وعائقا امام الوصول الى مجالها الحيوي في افريقيا والشرق الاوسط , وتنظر مصر الى إيران بانها دولة منافسة لها في الزعامة والطموح على المناطق الحيوية ووفقا لهذه الرؤية , فالاستراتيجية الإيرانية تعمل وفقا لمصالح وامكانية استخدام فن الممكن للوصول الى الاهداف , وتسعى إيران الان لخلق تعاون إيراني مصري في الشرق الاوسط , وهذا يعني من وجهة النظر الاستراتيجية و[الاسرائيلية] والتركية خلق كماشة (خانقة) يصعب اختراقها , وان المثلث الاقليم المكون من مصر إيران تركيا لا يمكن للقوى الخارجية ان تتجاهل في ان واحد دولتين من هذه الدول فربما تكون مستقبلا في حالة تحالف , اذ ان ذلك سيؤسس مصدر تهديد خطير على مشاريع الشرق اوسطية [الاسرائيلية] و الغربية , ان استراتيجية الولايات المتحدة وحلفائها وضعت لهذا المثلث شبكة من العلاقات المتغيرة والمتداخلة مع المثلث الداخلي (العراق , سوريا, السعودية), فضلا عن أهمية المثلث الاخر التي لا يمكن الاستهانة بها , وهو (الاردن, لبنان ,فلسطين), والذي يشكل محور مجابهة مع [اسرائيل] وهذا المثلث يتأثر بالمثلثين الاخرين . ويمكن الاستنتاج ان الاهداف الاستراتيجية الإيرانية خلال الفترة بعد عقد اتفاقية «كامب ديفيد» بين مصر و[اسرائيل] تنحصر بالاتي :[٧٠]

١. تطويق وتحييد الدور الجغرافي السياسي المصري في المناطق المتنازع عليها جيوبولتيكيا في افريقيا .
٢. تطويق وتحييد الدور الجغرافي السياسي المصري في دول الخليج العربي .
٣. تطويق وتحييد الدور الجغرافي السياسي المصري في دول المشرق العربي .

وبعد سياسة التطويق توجهت إيران في العصر الحديث , وخاصة بعد الثورات العربية الى سياسة الاختراق عن طريق فتح ابواب جديد للعلاقات التعاونية الاقليمية ,ومنذ ترؤس (محمد مرسي) الحكومة المصرية الجديدة , بدأت محاولات التقارب بين البلدين تأخذ شكل اخر يشير الى التطور الايجابي بين البلدين , وقد تمثل ذلك في زيارة (محمد مرسي) الى إيران لحضور قمة عدم الانحياز في اغسطس ٢٠١٢ , لتسليم

(٦٩) روحاني لنظيره التونسي هاتفيا: صيانة أرواح البشر اليوم بحاجة إلى إجراءات عالمية مشتركة , وكالة تسنيم الدولية للأنباء , ٢٠٢٠/٣/٢٣ , على الموقع الالكتروني : www.tasnimnews.com .

(٧٠) عمر كامل حسن , المجالات الحيوية الشرق اوسطية في الاستراتيجية الايرانية , الدار العربية للعلوم ناشرون , بيروت – لبنان , الطبعة الاولى , ٢٠١٥, ص٣٨٦ .

رئاستها الى إيران , وهي اول زيارة لرئيس مصري الى إيران منذ الثورة الاسلامية , وهذه الزيارة تعتبر نوعا من الاختبار العملي لشكل وتوجه السياسة الخارجية المصرية في ظل اول رئيس مدني منتخب ينتمي الى تيار الاسلام السياسي . وقد رحبت القيادة الإيرانية بزيارة الرئيس المصري في حينها , ما كان له الاثر الايجابي في فتح صفحة جديدة بين البلدين . إذ شهدت العلاقة بين البلدين تطورا ملحوظا حينما وقعت مصر وإيران اول برتوكول بينهما منذ قطع العلاقات الدبلوماسية يقضي باستئناف الرحلات الجوية المباشرة بين مصر وإيران , وفي العام التالي من شهر فبراير شباط ٢٠١٣ ,الرئيس المصري نظيره الإيراني لحضور قمة دول منظمة التعاون الاسلامي في القاهرة , فيما وجهت في عهد الرئيس( السيسي) الدعوة للرئيس الإيراني (حسن روحاني) لحضور حفل تنصيب (السيسي) مما اثار من جديد افاق التطور العلاقات الإيرانية – المصرية بين البلدين التي لا تزال تمثل التباسا في نهج السياسة الخارجية لمصر, ودوما ما كان يرتهن بأسباب معلنة واخرى خفية تخضع في معظمها لحسابات سياسية تخص جهات عالمية وربما إقليمية , والهاجس الاساس والمحرك لتلك العلاقة هو رضا دول الخليج العربي التي تعتبر الداعم الاول ل(السيسي) وخصوصا السعودية والامارات . وقد عبر (السيسي) عن ذلك بقوله « العلاقة مع إيران تمر عبر الخليج العربي ٠٠٠ أمن مصر لا ينفصل عن امن الخليج , وهم اهلنا ويهمنا ان يعيشوا بسلام ٠٠ كل ما نسعى اليه مع إيران هو علاقه عادلة».[٧١]

بينما إيران لا تود أن تعترف بالوجود والمصالح المصرية في هذه المنطقة الحيوية ويصل الامر بها انها لا ترى اي حق لمصر في المشاركة في اي ترتيبات أمنية تتعلق بمنطقة . ويرى صانع القرار الإيراني أن الشرق الاوسط يتشكل من اقاليم جيوسياسية منفصلة , وان اي مشروع حول امن الخليج لا تصنعه إيران او لا تشترك في وضعها على الاقل هو مشروع فاشل , لأنه يتجاهل دولة خليجية لها اكثر من نصف السواحل المطلة على الخليج , ومياهها الاقليمية في الخليج اوسع من سائر الدول الخليجية , و تتحكم في مضيق هرمز الذي يعتبر المنفذ الوحيد للخليج في المحيط , وأن الافتراض المسلم به و الخاص بزعامة مصر الدائمة للوطن العربي لا يمنح الشرعية لتواجد عسكري دائم لمصر في الخليج . ومن هنا وجب وفق الرؤية الإيرانية تحجيم وتطويق دور مصر الجيوبولتيكي خليجيا ذلك لأنها ترى نفسها الأحق بين الانداد في السيطرة على المواقع والموارد , وبالتالي ترفض أية ترتيبات أمنية بالخليج لا تكون طرفا فيها , خصوصاً ان وجود مصر بعد التغيير الذي حدث بالعراق سوف يؤسس لها خروجًا من العزلة ويكسبها اصدقاء اقليميين ودوليين مما سمح لها بدور اساسي في منطقه الخليج والشرق الاوسط عموما.[٧٢]

مع ذلك سعت إيران, الى تغيير سير العلاقات والصعود المتنامي بشأن تشكيل تحالف مع مصر, بالمقابل برزت دعوات دبلوماسية صدرت عن (وزارة الخارجية

(٧١) شيماء الهوارى , العلاقات الإيرانية العربية بين ما هو سياسي أمني والطائفية , مجلة مدارات إيرانية , العدد الاول , المركز الديمقراطي العربي , برلين – المانيا , ٢٠١٨, ص ١٢٠.
(٧٢) عمر كامل حسن , مصدر سبق ذكره , ص٣٨٩.

المصرية), تدعو الى تقارب مع إيران, لافتة بانه لا يوجد مشكلة مصرية مع عودة العلاقات مصر وإيران, وان الاخيرة دولة مهمة ولها حقوق مشروعة ولا مانع من اجراء الحوار الايجابي معها, مع ذلك فما زال المنطق الامني يسيطر على المنطق السياسي حول القرار المصري بشان إيران, وفي حين يركز منطق السياسة على الفوائد السياسية والاقتصادية من تطبيع العلاقات, ويأخذ في حسبانه- في الوقت نفسه – اليقظة بخصوص المخاوف الامنية المشروعة , فأن المنطق يركز فقط على اخطار الاختراق الإيراني للمجتمع المصري, في ما يخص النظام السياسي الإيراني الذي يستهدف تصدير الثورة ونشر التشيع فيه على اسس مذهبية . وقد أتضح ثمة قيود ومحددات اثرت في القرار المصري نحو إيران يتعلق بالوضع الداخلي والمخاطر المحتملة من جراء بناء العلاقات مع إيران, ولذلك تظل الاجهزة الامنية في مصر – وليس وزاره الخارجية – هي الممسكة بملف إيران , وتؤكد القيادة الامنية في مصر على ان تحسين العلاقات ينبغي ان يتم على نحو أبطأ لأنه ليس هناك ادلة دامغة على ان إيران تخلت عن مشروعها الاقليمي ,بشكل يسمح لمصر باستئناف العلاقات معها.(٧٣)

وقد ازدادت تلك الهواجس قوة بعد ان كشفت وثائق ويكيليكس عن محاولات إيران لتجنيد( بدو سيناء) للمساعدة في تهريب الأسلحة ومساعيها لتشييد بنية تحتية هناك وتجنيد عملاء لها في أنحاء مختلفة في مصر وهو الأمر الذي أكده الكشف عن خلية حزب الله التي تم ضبطها في عام ٢٠١٠، ولم يكن خافياً عنها أصابع إيران، فيما رصدت الأجهزة الأمنية المصرية – وبحسب بعض المواقع الصحفية – جهود إيران في تأسيس المزيد من الميليشيات الشيعية المسلحة على حدود مصر الشرقية والغربية والجنوبية وذلك من خلال الإعلان عن تأسيس أول جماعة شيعية مسلحة في غزة باسم «حركة الصابرين» يتم تسريبها عبر الأنفاق إلى داخل سيناء لخلق بؤر مسلحة لتنفيذ عمليات إرهابية ليس فقط في سيناء بل وفي داخل العمق المصري.(٧٤)

وبالتالي يعد قرار مصر باستعادة العلاقات مع إيران قراراً استراتيجياً , يتطلب الاقدام عليه حسابات وتقديرات متعددة الاوجه , فلا يمكن اقراره فقط بالحسابات الاقتصادية , وانما هو قرار يحتاج الى حسابات معقدة , بعضها يتعلق بالمخاطر على داخل المصري , فأن اي تمدد للدور الإيراني في المنطقة العربية يؤدي الى تأكل المساحة الجغرافية التي يمارس عليها الدور المصري في الاقليم العربي , وتهديداً خطيراً مع اقترابه ضمن المجالات الحيوية المصرية . فهناك عدد من المؤشرات على تنامي التأثير الإيراني و الفكر الشيعي في مصر, تتمثل باستقطاب عدد من المراكز البحثية , تعمل على اصدار بحوث ودراسات لترسيخ فكرة التشيع السياسي , وفي السنوات الاخيرة توجهت نحو تقديم دعم للقنوات الفضائية المصرية لاهتمام بحقوق الاقلية الشيعية , اذ تشير خريطة توزيع الشيعة في مصر الى انتشارهم على عدد من المحافظات المصرية

(٧٣) معتز سلامة و محمد السيد الصياد , السياسة المصرية تجاه ايران وتحديات الانتقال من القطيعة الى التطبيع , مجلة دراسات الايرانية , العدد الرابع , مركز الخليج العربي للدراسات الايرانية , سبتمبر ٢٠١٧ , ص٦١- ٦٢.

(٧٤) أسامة الهتيمي و إيران وسيناء ٠٠٠محاولة للبحث عن دور الخفي , مجلة الراصد , ٥ يونيو ٢٠١٦ , على الموقع الالكتروني :www.alrased.net

وان كانوا قلة قليلة . ففي يونيو ٢٠١٧ كشف عن وثيقة تمثل استراتيجية لشيعة مصر تستهدف توحيدهم وتأسيس ما سموه «البيت الشيعي المصري» وتطرح كيفية مواجهتهم للتيارات المناهضة لهم , وكيفية نشر التشيع داخل المجتمع المصري ,الى حد كبير يمكن القول بان هناك توجها لزيادة الادراك بالهوية الشيعية المشتركة لدى التكوينات الشيعية المحدودة في مصر .[٧٥]

وفي نهاية المطاف , يمكن تفسير اختلاف المواقف الإيرانية في النظر والحكم للدول التي شهدت التغيير بعد عام ٢٠١١ , من عدة جوانب وهي :[٧٦]

١. علاقة إيران بالبلد الذي فيه التحرك .
٢. طبيعة التكوينات المجتمعية في الدولة التي قامت فيها الاحتجاجات .
٣. طبيعة الاحتجاجات نفسها ومن هم داعميها .

(٧٥) معتز سلامة ومحمد السيد الصياد , مصدر سبق ذكره ,ص ٦٥-٦٦ .
(٧٦) شاهر اسماعيل الشاهر و مازن جبور , ايران واعادة الهيكلة الاقليمية لمنطقة الشرق الاوسط بعد أحداث «الربيع العربي «, مجلة مدارات ايرانية , العدد(٧) ,المركز الديمقراطي العربي , المانيا- برلين , المجلد (٢) , ٢٠١٠ , ص٩٧ .

## الخاتمة :

ان التغييرات التي شهدتها البيئة السياسية لمنطقة الشرق الاوسط بعد عام٢٠١١ , انعكست على دول المنطقة لاسيما إيران , وذلك لكونها كانت من الدول المهددة بأن تكون محطة لسياسات الولايات المتحدة الامريكية بعد أفغانستان والعراق , بيد ان إيران اثبت قدرتها في ادارة التغيرات بما يخدم مصالحها كطرف فاعل لا يستهان فيه ضمن الترتيبات الامنية في المنطقة ,اذ عملت على تطوير سياساتها واستراتيجياتها لمواجهة التحديات التي أفرزتها بيئتها الامنية الاقليمية والتهديدات الذي باتت تواجه بقائها ووجودها , وهو ما حفزها بالاندفاع في سياق التفاعلات الدولية المعاصرة في الشرق الاوسط , وتوظيف التحالفات والشراكات الاستراتيجية الاقتصادية والسياسية والامنية سواء اكانت إقليمية ام دولية للارتقاء بالاداء الاستراتيجي الايراني في المنظومة الدولية لتتحول الى دولة تسعى بالحصول على الاعتراف الدولي حول أحقيتها كقوة اقليمية قائدة للشرق الاوسط , مستفيدة من تراجع المنظومة العربية الضعيفة , وتأثر دور دول المجلس التعاون الخليجي في ظل حرب النفط والممرات المائية الدولية , والانكشاف الامني في ظل تزايد الفوضى التي خلقت تزايد نشاط التنظيمات الارهابية المسلحة العابرة للحدود داخل الدولة والتي اضعف من قدرة الانظمة للدول العربية بعد عام ٢٠١١ , لاسيما في سوريا والعراق واليمن لإدارة الدولة وحماية سيادتها . بل واستفادت كثيراً من هفوات السياسية الخارجية الامريكية وفي مناطق اقليمية مختلفة , في جعل الدور الايراني محدداً ومقرراً في الكثير من الازمات المعاصرة لاسيما الازمات التي أفرزتها أحداث الربيع العربي في الشرق الاوسط وفي الدول العربية بصفة عامة .

ولقد توصلت الباحثة من خلال الدراسة الى عدة استنتاجات ابرزها , ما يأتي :

١. تمتاز إيران بتبني سياسة جديدة لمواجهة اي اختراق لبنائها الاجتماعي الداخلي من خلال تكريس وتوسيع وترسيخ دائرة الايمان بمقومات وجودها الفكرية والتي تأتي من مدى ايمانهم بالأهداف المعلنة لإيران كدولة , وامكانية زجهم واشراكهم للدفاع عن تلك الاهداف .
٢. ان التغيير التنظيمي لإيران هادف ويسعى لتحقيق التكيف البيئي الداخلي والخارجي بما يضمن الانتقال لارتقاء بدور القيادة الاكثر فعالية , فان التوجهات إيران المتباينة تجاه التغيرات التي شهدت المنطقة العربية كانت موجهة ومقصودة وهادفة . فإيران تتبنى مجموعة اهداف تجاه عملية التغيير التي شهدتها المنطقة الغرض منها زيادة فعالية اداء السلوك الخارجي .
٣. سعت الجمهورية الاسلامية الإيرانية لقلب الموازين لصالحها من خلال إدارة التغيير بمعناه العام , يضمنها التغيرات البنائية , والتغيرات الثقافية بكل ما يشمله معنى الثقافة من معاني وافكار وقيم وادوات ومواضيع ,وأدوات تأثير , تفاعلاً وتثويراً. لذا رحبت ايران بالتغيير بعد عام ٢٠١١ , واعتبرت ذلك جزء من «الصحوة الاسلامية « في العالم العربي وعدته وسيلة لتقوية المحور

المناهض للولايات المتحدة الامريكية , كونها مرحلة بنائية ادراكية شاملة قامت إيران من خلالها بتعميق الوعي والاحاطة بمشاكل الحاضر وعيوب النظام الاقليمي العربي والذي فرض عليها ضرورة التدخل والتحرك لمعالجته بما يتناسب مع المصلحة القومية .